رسائل ومؤلفات سلطان العمري

٣٤

تَعَالَ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً

مقالاتٌ تَزِيدُ الإيمَانَ

تأليف

سُلطان بن عبد الله العمري


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدِّمة

الحمْدُ للهِ والصَّلَاةُ والسَّلامُ علَى رسولِ اللهِ، أَمَّا بَعد.

فمَا أجمَلَ الإيمَانَ حينَمَا يسكُنُ القَلْبَ، وهَذَا الإيمَانُ يزيدُ وينقُصُ، ولعَلَّ مِنْ أسبَابِ زيادَتِهِ قراءَةَ المقَالاتِ الإيمَانِيَّةِ التِي تخَاطِبُ القَلْبَ.

وبينَ يديك بَعْضُ الرسائِلِ التِي أسأَلُ اللهَ أَنْ تَجِدَ فيهَا نوراً يُضِيءُ طَرِيقِ إيمَانِكَ.



الفهرس

❊❊❊


التصميم الداخلي للكتاب
Tharwat Sultan
TharwatSultan@yahoo.com
للتواصل :
00201019530152

الفرَحُ باللهِ

لعَـلَّ العنوانَ فيهِ شـيءٌ مِـنَ الغَرَابَـةِ؛ لأنَّ مفاهِيمَ الفـرحِ في حياتِنَـا تقتَصِرُ علـى الفرحِ بالمَحْسـوسِ فَقَط، الفـرَحُ بالمَـالِ والمنصِـبِ والزوجَـةِ والوَلَدِ والهديَّةِ والْمَنْزِلِ ونَحْوِ ذَلِكَ.

ولعلَّ سائِلًا يهمِسُ ويقولُ: ومَا معنَى الفرَحِ باللهِ؟ ومَا هِيَ أسرَارُهُ؟

الفرَحُ باللهِ هُوَ الفرَحُ بِهِ ربًّا وإلهـًا، فتفرَحُ بعبوديَّتِكَ لَهُ وخضوعِكَ بينَ يديهِ وافتِقَارِكَ لَهُ وانكسارِكَ علَى عتبَاتِ بابِهِ.

تفرَحُ حينَمَا تتوضَّأُ؛ لأنَّكَ سوفَ تُنَاجِي ربَّكَ بَعْدَ وضوئِكَ وتقولُ: اللهُ أكبر.

تفـرَحُ حينَمَا تقِفُ علـى قدميك وترْكَعُ وتسـجُدُ لربِّكَ القريبِ المجِيدِ.

تفـرَحُ بربِّـكَ حينَمَـا تصـومُ وتترُكُ كلَّ شـهواتِ النفسِ مِنَ الطعَامِ والشـهوَةِ لأجْلِ اللهِ وحدَهُ وتتذَكَّرُ الحديثَ القدسيَّ: (إلا الصيامَ فإنَّهُ لِي وأنَا أجْزِي بِهِ).

حتَّـى قالَ بعـضُ العُلَمَاءِ: لَـوْ لَمْ يكـنْ مِنْ فضلِ الصيَامِ إلا هَذَا الحديثُ لكَفَى.

تفرَحُ مِنْ داخِلِك وتشْعُرُ بسرورِ قلبكَ حينَمَا تخلُو بكتَـابِ اللهِ وتنْتَقِلُ بينَ آياتِهِ، ويتـذوقُ قلبُكَ حلاوَةَ الذكرِ ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾.

نعـمْ يفرَحُ العابِدُ حينَمَا يقومُ فِـي الليلِ يناجِي ربَّهُ فِي سكونٍ وخُشُوعٍ وخضوعٍ، يرتِّلُ بالآياتِ ويلهَجُ

بالدعَوَاتِ، حتَّى إنَّهُ يسـابِقُ الزمَنَ قبلَ الفجْرِ، حتَّى قالَ ذلكَ العَابِدُ: واللهِ منذُ أربعينَ سـنَةً مَا أحزَنَنِي إلا طلوعُ الفَجْرِ.

والآخَرُ يقولُ: لولا الليلُ لَمَا أحبَبْتُ البَقَاءَ فِي الدنيا.

أيُّ فـرَحٍ ولَـذَّةٍ شـعروا بِهـا حتَّـى خرجَـتْ هذِهِ الكلِمَاتُ مِنْ أفواهِهِمْ وَهَذِهِ المَشَاعِرُ مِنْ نُفُوسِهِمْ؟

الفرَحُ باللهِ شُعورٌ يجعَلُ القلْبَ يرفرف نحو العلا، ويطيرُ نحوَ معَانِي لا يقوى القَلَمُ علَى التعبيرِ عنْهَا.

يفرَحُ العابِدُ بصبْرِهِ على البلاءِ الذِي نزَلَ بِهِ مِنْ ربِّهِ الحكيـمِ، وَيـرَى أنَّ وراءَ ذلِكَ البَـلاءِ الثوابَ الكبيرَ الـذِي يجعَلُـهُ يسـتمْتِعُ بـكلِّ لحظَةِ ألَـمٍ، ولا يقوَى علَى ذَلِـكَ إلَّا مَنْ تَرَقَّـى فِي مـدارِجِ العُبُودِيَّةِ وذَاقَ

مِـنْ لَذَّاتِ الأُنْسِ باللهِ مَا تجْعَلُهُ يطمئِنُّ فِي سـاعَاتِ الشِدَّةِ ويبتَسِمُ في لـحَظَاتِ الألَمِ.

يفـرَحُ الداعيَةُ الـذي يتحَرَّكُ هنا وهناكَ فِي سـبيلِ اللهِ، دعوَةً وتعليمـاً، يفرَحُ برؤيَةِ اللهِ لَهُ وهُوَ يتْعَبُ مِنْ أجلِ اللهِ، ولسَانُ حالِهِ ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾.

يفرحُ ذِلـكَ التاجِرُ الـذي يبذُلُ مالَهُ فِي سـبيلِ اللهِ فِي رعايَةِ مشروعٍ دعوِيٍّ أوْ إغاثِي، ويعْلَمُ بأنَّ المَالَ الذِي لديهِ هُوَ رزْقٌ ساقَهُ اللهُ إليهِ.

تفرَحُ تِلْكَ الأختُ بحجَابِهَا الذي هُوَ مصدَرُ عزَّتِهَا؛ لأنَّـهُ اختيـارُ اللهِ لهَا، وتشـعُرُ أنَّها ملِكَةٌ تمشِـي علَى الأرضِ لأنَّهَا أطَاعَتْ رَبَّ السماواتِ والأرضِ.

 **ومضة:**

يَا مَنْ لَمْ يـذُقْ لَذَّةَ الفَرَحِ باللهِ، تعَالَ فالبَابُ مفتُوحٌ والخيـرَاتُ تغدو وتروح، وقرِّرْ مِنْ هذِهِ السـاعَةِ أنْ تتوجهَ بقلبِكَ إلَى ربِّـكَ القريبِ المجيبِ؛ ليمنَحَكَ حلاوَةَ الفَرَحِ بِهِ.



جلسَةٌ مَعَ النّفسِ

كانَ الإمَـامُ ابـنُ تيميَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جالِســًا بَعْـدَ صلاةِ الفَجْرِ فِي المسـجِدِ يذكرُ اللهَ، وبَقِيَ علَى تِلْكَ الحالِ حتَّى الضُّحَى، فجاءَهُ تلميذُهُ ابنُ القَيّمِ فسأَلَهُ عَنْ هذَا الجلوسِ؟

فقـالَ لهُ ابـنُ تيميَةَ: هـذِهُ غُدوتِـي لَوْ لَـمْ أتغَدَّهَا سقَطَتْ قُوَاي.

التعليق:

إنَّ القلبَ لَهُ غذاءٌ يجِبُ أَنْ يتغَذَّى بِهِ؛ حتَّى يبقى قَوِيـًا، وغـذَاءُ القلبِ هُوَ الإيمَانُ باللهِ تعالَى والعَمَلُ الصالِحُ، وعَلَـى قدرِ مَا يحقِّـقُ العبْدُ مِنْ هذا الإيمَـانِ على قدرِ

مَا يكونُ فِي قلبِهِ مِنَ القُوَّةِ والثَبَاتِ علَى الحَقِّ.

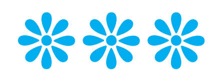
لقد ثبَتَ فِي الحديثِ الصحيحِ عنْهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَثَلُ الذِي يذكرُ ربَّهُ والذِي لا يذْكُرُ رَبَّهُ مثلُ الحَيِّ والميتِ**». رواهُ البُخَارِي.

إنَّ الحيَاةَ الحقيقيَّةَ هِيَ حياةُ القلبِ، وحيَاةُ القلْبِ لا تتحَقَّقُ إلَّا بالعَمَلِ بمَا يرضِي اللهَ تعَالَى.

إنَّ القلبَ متَى مَا اتصَلَ باللهِ وأنَابَ إليهِ حصَلَ لَهُ مِنَ الغِذَاءِ والنعيمِ مَا لَا يخطُرُ بالبَالِ، ومتَى غَفَلَ العبْدُ عنْ ربِّهِ وأعرَضَ عَنْ طاعتِهِ فإنَّ قلبَهُ سيمُوتُ، ولِهَذَا قالَ فِي الحَدِيثِ «**مَثَلُ الحيِّ والميِّتِ**» فبيَّنَ أنَّ الغافِلَ كالمَيِّتِ.

إِنَّ النـاسَ يتفاوَتُـونَ تفاوُتـًا كبيراً فِي قـوةِ أبدانِهِمْ وصحةِ أجسـامِهِمْ، وتفاوتُهُمْ فِي قوةِ القَلْبِ وضعفِهِ أعظَمُ.

فَمَـنْ أرادَ السـعَادَةَ فِـي الدنيَـا وَالنعيـمَ فِـي القبرِ والرضـوَانَ الأكبَرَ فِي الآخـرَةِ، فليغذِّ قلبَـهُ بالإيمَانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ.



هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ الله

نحنُ نعيشُ في هـذهِ الحيَاةِ ونتَقَلَّبُ بيـنَ زخارِفِهَا وشهواتِهَا، وتُلهينَا الحياةُ الدنيا، وقَدْ تغيبُ عنَّا بعضُ منازِلِ الآخِرَة.

إنَّ هناكَ منازِلَ ودرجَاتٍ عاليَةً عندَ اللهِ، قالَ تعَالَى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾، وقالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

نعَم إنَّ الصالحِينَ لَهُمْ درجَاتٌ عنْدَ اللهِ، يختَلِفُونَ فيهَا، فمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي أعلَاهَا، ومِنْهُمْ دونَ ذَلِكَ.

ويبيـنُ هَذَا التفَاوُتَ مَا جَاءَ فِـي الحَدِيثِ «إنَّ أهلَ الجنَّـةِ يتراءَونَ أهلَ الغُرَفِ مِـنْ فوقِهِمْ، كما يتراءونَ

الكوكَـبَ الدُّرِّيَّ الغابِـرَ فِي الأفقِ مِنَ المشـرِقِ - أَوِ المَغْرِبِ - لِتَفَاضُلِ مَا بيْنَهُمْ».

قالُوا: يَا رسـولَ اللهِ، تِلْكَ منازِلُ الأنبيَاءِ، لَا يبلغُهَا غيرُهُم؟

قـالَ: «بَلَى، والذِي نفسِـي بيدِهِ، رجَـالٌ آمنُوا باللهِ وصَدَّقُوا المرْسَلِينَ». رواهُ البُخَارِيُّ.

فانظُرْ للتفَـاوُتِ الكبيرِ، درجَاتٌ كمَـا بينَكَ وبينَ ذَلِكَ الكوكَبِ الذِي تَرَاهُ في أعْلَى السَّمَاءِ.

إنَّهَا ليْسَتْ منازِلَ الأنبيَاءِ، لأَنَّهُمْ فِي أعلَى عليين، ولكنَّهَا منَازِلُ للصالِحِينَ والصَّالِحَاتِ.

يا ترى كيفَ كانَتْ همَّةُ أولئِكَ القومِ؟ كيفَ كانَتْ قلوبُهُمْ؟ كيفَ كانَتْ أعمَالُهُمْ؟

يـا ترى مَاذا فَعَلُوا حَتَّى بلغُوا المنَـازِلَ العالِيَةَ التِي تشابِهُ ذلِك الكَوْكَبَ البعيدَ؟

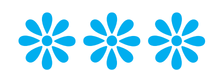
لعَـلَّ الواحِدَ مِنْ أولِئِـكَ كانَ صديقًا لَكَ، أَوْ لعَلَّهُ من جمَاعَةِ مسجِدِكَ، أوْ لعَلَّهُ ابنُ عَمِّكَ.

مَا أعجَبَ الهِمَمَ، كيفَ رفعَتْهُمْ إلى تِلْكَ المنَازِلِ!

إي واللهِ، لمَّـا ارتفَعُـوا في الدنيا بِهِمَّتِهِـمْ في العَمَلِ الصَّالِـحِ، كانَ الجزَاءُ منْ جنْـسِ العَمَلِ، فرفَعَهُمُ اللهُ فِي درَجاتِ الجِنَانِ، قَالَ تعالَى: ﴿فِي جَنَّـةٍ عَالِيَـةٍ﴾.

إنهَـا لِمَنْ عـلا بِهِمَّتِـهِ عَـنِ الشَّـهَوَاتِ والذُّنُوبِ، إنَّهَـا لِمَنْ عَـلَا بطمُوحَاتِهِ لجَنَّةٍ عرضُهَا السَّـمَاوَاتُ والأَرْضُ.

فيـا طالِـبَ الجِنَانِ، ارتَفِـعْ قليلاً بِهِمَّتِـكَ، واعمُرْ وقْتَـكَ بصالِـحِ الأعمَـالِ، ونافِسْ فِي جنَّـةٍ عرضُهَا السمَاوَاتُ والأرْضُ، وإنَّهَا لساعَاتٌ نقضيهَا في هذِهِ الحيَاةِ ثُمَّ نَرْحَلُ.



أوقاتُ استجَابَةِ الدعَاءِ في الليلِ

١- عَـنْ جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنَّ رســولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «إنَّ مِنَ الليلِ ســاعَةً، لَا يوافِقُهَا عبْدٌ مسلِمٌ يسأَلُ اللهَ خيراً، إلَّا أعطَاهُ إياه» رواهُ مسلم.

قالَ النوويُّ: فيهِ إثبَاتُ ساعَةِ الإجَابَةِ فِي كُلِّ ليلَةٍ، ويَتَضَمَّنُ الحَثَّ علَى الدعَاءِ فِي جميعِ ساعَاتِ الليلِ رجَاءَ مصادَفَتِهَا.

٢- عَـنْ عُبَـادَةَ بْنِ الصامِتِ عَـنِ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَـالَ: «مَنْ تعارَّ مِـنَ الليلِ فقَالَ: لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شـريكَ لَهُ، لَهُ الملـكُ وَلَهُ الحمدُ وهُوَ علَى كلِّ شـيءٍ قديرٌ، الحمْدُ للهِ، وسبحَانَ اللهِ، ولَا إلَهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبَرُ،

ولا حوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ، ثُمَّ قالَ: اللهُمَّ اغفِرْ لِي أَوْ دعَا استجيبَ لَهُ، فإنْ توضَّأَ قُبِلَتْ صلاتُه». رواهُ البُخارِيُّ.

وفِـي هَذَا الحدِيثِ إشـارَةٌ لفضْلِ هَـذَا الذِكرِ عنْدَ القيامِ مِنَ النومِ في أيِّ ســاعَةٍ مِنَ الليلِ بدونِ تحديدٍ، والنتيجَةُ استجابَةُ الدعَاءِ وقبولُ الصَّلَاةِ.

٣- أحادِيـثُ نـزولِ الـربِّ في الثُلُـثِ الأخيـرِ مِنَ الليـلِ وَهِيَ متواتِرَةٌ، وفيهَا أَنَّ اللهَ يقولُ: «مَنْ يدعُونِي فأستجِيبَ لَهُ».

فَيُسْـتَفادُ مِـنْ مجمـوعِ هـذهِ الأحادِيـثِ أَنَّ وقتَ الليلِ وقْتٌ شريفٌ حيثُ توجَدُ فيه الأوقاتُ الثَّلَاثُ المتنوِّعَةُ لاستجَابَةِ الدُّعَاءِ.

ولكِـنَّ الـذِي يحزِنُـك أَنَّ بعضَ النَّاسِ قَـدْ أهمَلَ العِنَايَـةَ بالليلِ، فهُـوَ إِمَّا علَى مواقِـعِ التَّواصُلِ يُقَلِّبُ صفحَاتِهَـا، أَوْ لعَلَّـهُ مَـعَ القَنَـوَاتِ، أَوْ مَـعَ اللعِـبِ والسَّهَرِ.

والـذِي ينبغِي هُـوَ عمَارَةُ الليـلِ بالدُّعَـاءِ والذكرِ وَالصلاةِ، مَعَ التـوازُنِ في الأمُورِ الأخرَى مِنْ حقوقِ الأسرَةِ وحقُوقِ النفْسِ فِي المُبَاحَاتِ.



الأصدِقاءُ يَوْمَ القِيامَةِ

كنْتُ أَتَأَمَّلُ فِي بعْضِ الآيَاتِ التِي تتَحَدَّثُ عَنْ يومِ القِيَامَةِ، فوجَدْتُ الحديثَ عَنِ الأصدِقَاءِ، ورأيتُ أَنَّهُمْ ينقَسِمُونَ إلَى قِسْمَين:

القِسْمُ الأولُ: أصدقَاءُ السوءِ، الذينَ اجتَمَعُوا علَى المَعَاصِي، يَا ترى كيفَ يكونُ حالُ الواحِدِ منهُم؟

يقولُ تعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

فانْظُرْ كيفَ يصِـفُ القرآنُ حالَةَ النَّـدَمِ التِي تكونُ علَى الصدَاقَاتِ الســيئَةِ، إنَّهُ يعَـضُّ علَى يديهِ مُعترِفـًا بِأَنَّ سـبَبَ الضلالِ الذِي وَقَعَ فيـهِ إنمَا كانَ بصحبَتِهِ لذَلِكَ الشخْصِ.

القســمُ الثَّانِــي: مصيــرُ الصالحِيــنَ الـذِي كانَــتْ محبَّتُهُــمْ فِي الدنيا لأجلِ اللهِ، إذَا بِهِـمْ يجتَمِعُونَ فِي يـومِ القيَامَةِ علَى منَابِرَ مِنْ نورٍ كمَا فِي الحديثِ «قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: المتحَابُّـونَ فِـي جلالِي لَهُمْ مَنَابِـرُ مِنْ نُورٍ يغبطُهُمُ النبيونَ والشهَدَاءُ». رواهُ الترمِذِيُّ بسنَدٍ صحيح.

ويجتمِعُـونَ أيضـًا تَحْـتَ ظِـلِّ العَـرْشِ، كمَا في حديثِ السـبْعَةِ الذيـنَ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظلِّ عرشِـهِ يومَ

القِيَامَةِ، وذَكَـرَ مِنْهُمْ «ورَجُلانِ تحَابَّـا فِي اللهِ اجتَمَعَا عليهِ وتفَرَّقَا عليهِ» رواهُ البُخَاري.

فتأمَّـلْ كيـفَ يجتَمِعُـونَ سَـوِيـًا علَى منَابِـرِ النورِ وتَحْـتَ ظِـلِّ العرشِ، وهـذَا الاجتِمَـاعُ هُوَ بسـبَبِ اجتمَاعِهِمْ فِي الدنيا علَى أفعَـالِ الخيرِ مِثْل حلقَاتِ التحفيـظِ ومجالِسِ الذكْرِ، وطلَـبِ العِلْمِ، والدعوَةِ إلَـى اللهِ، فَمَا أعجَـبَ الاجتِمَاعَ الصَّالِـحَ كيفَ يثْمِرُ اجتِمَاعـًا جمِيلاً يَوْمَ القِيَامَةِ.

وكمَا اجتَمَعُوا فِي مجَالِسِ الذِّكْرِ علَى تِلْكَ الفُرُشِ البسـيطَةِ، فهُنَـاكَ اجتِمَاعٌ ولكِنْ علَـى منَابِرَ مِنْ نورٍ، فسبحَانَكَ ياربِّ مَا أعظَمَكَ.

فهذا نـداء: احرِصْ علَى انتقَـاءِ الصدِيقِ الصَّالِحِ الـذِي تنتَفِعُ بِهِ فِي الدنيَـا والآخِرَةِ، واحـذَرْ مِنْ كُلِّ صديـقٍ يدعـوكَ للمعَاصِي فِـي الدنْيَا لأَنَّكَ سـتَنْدَمُ علَى ذلِكَ يومَ القِيَامَةِ.



لماذا نَصُومُ النّافِلَةَ؟

مِـنْ توفيقِ اللهِ لَكَ أنْ يشـرَحَ صـدرَكَ للإكثَارِ مِنْ صيامِ النَّافِلَةِ.

ولكنْ ما هِيَ الأحادِيثُ والفضَائِلُ التِي تشوِّقُكَ لَهُ وتدفَعُكَ للمدَاوَمَةِ عليهِ؟

نقصِـدُ بنوافِـلِ الصيَامِ، أيَّـامَ الإثنيـنِ والخمِيسِ والأيَّامَ البيضَ وأكثرَ شـهرِ شعبَانَ وأكثرَ شهْرِ محرم وغيرِهَا مِمَّا وردَتْ فِي الأحادِيثِ الصحِيحَةِ.

من الأحاديثِ التي تشوِّقُكَ للصيامِ:

١. أنَّ مِـنْ أبوابِ الجَنَّةِ بابَ الرَّيَّانِ وهُوَ للمكثِرِينَ مِنَ الصيامِ، كمَا فِي الحدِيثِ المُتَّفَقِ عليهِ.

٢. أنَّ اللهَ يحِبُّ الصيَامَ، فَقَدْ قالَ سبحانَهُ فِي الحديثِ القدسي: «كُلُّ عمَلِ ابنِ آدمَ لَهُ إلا الصيَامَ فإنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ». مُتَّفَقٌ عليهِ.

٣. أنَّ «مَنْ صامَ يومًا فِي سبيلِ اللهِ بَاعَدَ اللهُ بينَهُ وبينَ النَّارِ سبعينَ خريفًا». رَوَاهُ البُخَارِيُّ، وتأمَّلْ هَذَا الفضْلَ لِمَنْ صامَ يومًا واحِدًا فكيفَ بمَنْ صَامَ عَشَراتِ الأيَّامِ؟

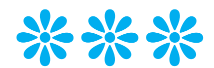
٤. أنَّ الصيامَ لهُ فرحَةٌ ولَذَّةٌ يشعُرُ بهَا مَنْ داوَمَ عليهِ، وفِي الصحيحِ «للصائِمِ فرحَتَانِ، فرحَةٌ عِنْدَ فطْرِهِ وفرحَةٌ عِنْدَ لقَاءِ رَبِّهِ».

٥. أنَّ الصيَامَ يشفَعُ للعَبْدِ يومَ القِيَامَةِ كمَا فِي الحديثِ الذِي رواهُ أحمَدُ وصحَّحَهُ الألبَانِيُّ.

٦. أَنَّ دعـوةَ الصائِـم مسـتجَابَةٌ كمَا فِـي الحَدِيثِ «ثلاثُ دَعَواتٍ مُسـتجابات: وذَكَر منها: دعوةُ الصائِم» رواه البيهقِيُّ وصحَّحَهُ الألبَانِي.



ابْـدَأ مِنَ اليـومِ بصيَـامِ النَّافلَـةِ لعَلَّكَ تفـوزُ بتِلْك الفضَائِلِ.



أعمالُهُمْ تسيرُ بِهِمْ علَى الصِرَاطِ

هنـاكَ وعلَى الصراطِ وهوَ الجسـرُ الـذي يُنصَبُ على متْنِ جهنَّمَ، يبدَأُ مـرورُ النَّاسِ عليْهِ، قالَ تعَالَى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قالَ العُلَماءُ: أيِ المرورُ علَى الصِّرَاطِ.

هنَاكَ وحينَ يأتِي دَوْرُكَ لتمشِيَ عليهِ، يا ترى مَا هُوَ حالُـكَ؟ ومَا موقِفُكَ؟ أخبرْنِي عنْ مشـاعِرِكَ؟ وفِي أيِّ شيءٍ ستَفُكِّرُ؟

ووضعتَ قدمَكَ الأولَى، وشعرْتَ بدقَّةِ الصراطِ، والمكانُ مظْلِـمٌ إلَّا علَى أهْلِ الإيمَانِ ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

في ذلِـك الموقِـف تأتِـي حسـنَاتُك لتقِـف مَعَـك وتدفَعَك نحوَ الجِنَانِ، نعم، تأتي صلواتُكَ وكلماتُكَ، هنـاكَ ينفَعُكَ طلَـبُ العِلْمِ وصبرُكَ عليـهِ، ويدفعُكَ حُسْنُ خُلُقِكَ وطيبُ نفسِكَ إلى دارِ السَّلَامِ.

إنهـا الأعمَالُ الصَّالِحَـةُ التِي قُمْتَ بهَـا فِي حياتِك، حفِظَهَا اللهُ لَكَ، وَمِنْ أسماءِ اللهِ «الحفيظ» فجاءَتْ تِلْكَ الحسَنَاتُ لِكَيْ تكونَ خيرَ معينٍ لَكَ في شِدَّةِ الصرَاطِ.

وفِـي الحديـثِ «فيَمُـرُّ أولُكُمْ كالبَـرْقِ، ثُـمَّ كَمَرِّ الريـحِ، ثُمَّ كمَرِّ الطيرِ، ثُمَّ كأشـدِّ الرجَالِ، تجرِي بِهِمْ أعمَالُهُمْ، ونبيُّكُمْ قائِمٌ علَى الصرَاطِ، يقُولُ: ربِّ سلِّمْ سـلِّم، حتى تعجَزَ أعمَالُ العِبَـادِ، حتَّى يجيءَ الرجُلُ فَلَا يستطيعُ السيرَ إلا زَحْفًا» رواه مسلم.

فتأمَّلْ قولَـهُ «تجرِي بِهِمْ أعمَالُهُـمْ» لتَعْلَمَ وتوقِنَ أنَّ الأعمالَ الصالِحَةَ باختلافِهَا وأنواعِهَا هِيَ التِي تدفَعُكَ عندَ المرورِ علَى الصراطِ بَعْدَ توفيقِ اللهِ لَكَ.



خلوةٌ مَعَ الصُّوَرِ

إنَّ الواحِدَ منَّا قَدْ تتهيأُ لهُ مشاهَدَةُ المقاطِعِ والصورِ التي تحتوي المشاهِدَ المحرَّمَةَ بكلِّ سهولَةٍ، ولمِثْلِ هؤلاءِ أقولُ:

١. إنْ صحَّتِ الخُلْوَةُ بهذِهِ الصورِ والمشاهِدِ فاعلَمْ أنَّ اللهَ مَعَكَ بعِلْمِهِ قالَ تعالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾، وقالَ سبحانَهُ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

٢. إنَّ العينَ تشهَدُ يومَ القِيامَةِ بِمَا رَأَتْ، قالَ تعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ فمَا شعورُكَ حينَهَا؟

٣. **أَمَا تخْشَى مِنْ لحْظَةِ المـوتِ أَنْ تأتِيَكَ وأنتَ تَتَمَتَّعُ بهـذِهِ الصورِ** قالَ تَعَالَى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، وإنَّهـا لَكَارِثَـةٌ كُبْـرَى حينَمَـا يأتِيـكَ الموتُ وأنْتَ تُشَاهِدُ تلكَ الصور.

٤. **أنَسِيتَ أَنَّ لَكَ قبراً ستدخُلُ فيهِ وحْدَكَ،** لا ليس وحدكَ، بلْ مَعَ عملِـكَ، فيا ترى هل تحِبُّ أنْ ترافِقَكَ تِلْكَ الصُّوَرُ إلَـى قبْرِكَ، وحينَهَا كيفَ سيكونُ الحَالُ؟

٥. **إنَّ هـذِهِ الصـورَ طريـقٌ لإثَـارَةِ الشـهْوَةِ لديـك،** والإسلامُ حَمَى تِلْكَ الشهوَةَ مِنَ الإثَارَةِ لتبْقَى فِي بُسْتَانِ العَفَافِ ولئَلَّا تنحرِفَ إلَى جحِيمِ الفواحِشِ، ورُبَّ شهْوَةِ ساعَةٍ أورَثَتْ حزنًا طويلاً.

٦. هذِهِ الصــورُ إنَّمَا هِيَ لحظَاتُ ابتــلاءٍ لَكَ، هَلْ تصْرِفُ بصَرَكَ عنْهَــا أمْ أنَّكَ تبحَثُ عَنْ غيرِهَا لِكَيْ تسـبَحَ فِي بَحْرِ الحُبِّ والجَمَالِ والتفكيرِ الدائِمِ فيهَا.

٧. هذِهِ الصورُ تجْعَلُ قلبَكَ أسيراً لَهَا، وَهَذَا الأَسْرُ حقيقِيٌّ، ووراؤُهُ مِنَ الويلاتِ والأسَــى الشيءُ الكثير.

وكنتَ مَتَى أرْسلْتَ طرْفَكَ رائِداً
لقلبِــكَ يومــاً أتعبَتْــكَ المَناظِــرُ
رأيــتَ الــذي لا كلُّهُ أنــتَ قادِرٌ
عليــهِ ولا عــنْ بعضِــهِ أنــتَ صابِــرُ

٨. **هــذه النظَـرَاتُ تعَرِّضُـكَ لعقوبَةِ الجَبَّـارِ،** ومَا يدريكَ لَعَـلَّ نظرَةً كانَتْ سـبباً فِي غضَبِ اللهِ تعالَى عليكَ، قَـالَ تعَالَى: ﴿وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يحفظَنَا مِنَ الفِتَنِ مَا ظهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.



ثلاثَةٌ فِي الجَنّة

حينَمَـا تتأمَّلُ فِي الآيَاتِ والأحَادِيـثِ التِي جَاءَتْ فِي بيانِ وَصْفِ الجَنَّةِ ســوفَ تَجِدُ تكرارَ ثلاثَةِ ألفَاظٍ «الذَهَبُ والفِضَّةُ واللؤْلُؤ».

واقتصَرْتُ هُنَا عَلَى بعضِ النصوصِ حَتَّى لا أطِيلَ.

تأمَّلْ مَعِي:

أولاً: الذّهَب:

١. يقولُ تَعَالَى ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ﴾.

أيْ يطوفُ عليهِمُ الخَدَمُ بصُحُونٍ مِنْ ذَهَب.

٢. يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾.

أي يلبَسُونَ أساوِرَ مِنْ ذَهَب.

٣. فِي الحَدِيث «مَا مِنْ شَجَرَةٍ فِي الجَنَّةِ إلَّا ساقُهَا مِنْ ذَهَب» رواهُ الترمِذِيُّ وحَسَّنَهُ الألبَانِيُّ.

ثانياً: الفِضّة:

١. قوارِيرُ الجَنَّةِ، يقولُ تعَالَى ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾.

وهذا شيءٌ عجيبٌ؛ لأَنَّ القارورَةَ تَشِفُّ عمَّا بِدَاخِلِهَا، فكيفَ تكونُ زجَاجَةً وَمِنْ فِضَّة؟

٢. يقولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾.

أي يلبسُونَ حُلَلاً مِنَ الفِضَّةِ كَمَا سبَقَ فِي الذَّهَب.

٣. يقولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ﴾.

وهذا كما سَبَقَ فِي صِحَافِ الذَّهَبِ، فَهُنَاكَ

صحـونٌ مِنْ ذَهَـبٍ وأوانٍ منْ فضَّـةٍ، كلاهُمَا يطوفُ بِهِمَا الخَدَمُ عليكَ فِي جِنَانِ الخُلْدِ.

ثالثاً: اللؤلؤ:

١. يقولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾.

وبهَذَا تكونُ الأساوِرُ مِنْ ثلاثَةِ أصنَافٍ: ذهبٍ وفضَّةٍ ولؤلؤ، هذَا حِلْيَةٌ في أيدِي أهْلِ الجَنَّةِ.

٢. يقـولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ١٩﴾.

وهذا مِنْ تمامِ جمَالِ الخَدَمِ أنَّهُمْ يُشْبِهُونَ اللؤلؤَ المنثُورَ.

٣. يقولُ تبَارَكَ وَتَعالَى ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾.

وهـذَا جمَالٌ عجيبٌ، أنْ تكونَ زوجَتُكَ تشْـبِهُ اللؤلـؤَ فِي اللمَعَانِ والضيـاءِ، فكيفَ لَوْ كانَتْ بالقُرْبِ مِنْكَ؟

٤. فِي الحديـثِ الصحِيحِ «إنَّ للمؤمِـنِ فِي الجَنَّةِ خيمَةً مِنْ لؤلؤٍ مجوَّفَةً طولُهَا فِي السَّـماءِ ستُّونَ ميلاً». رواه مسلم. وفي روايَةٍ «عَرْضُهَا». رواهُ البُخَارِيُّ، ولا منَافَاةَ بينَهُمَا فَعَرْضُهَا سـتُّونَ مِيلًا وطولُهَا فِي السمَاءِ ستونَ ميلًا.

وهذِهِ الخيمَةُ يسكنُهَا أهلُكَ مِنَ الحُورِ العِينِ.

فَالخيمَةُ مِنْ لؤلؤٍ، وزوجَتُكَ كاللؤلؤِ، وأنْتَ تلبسُ الحريرَ، وفِي يديكَ أساوِرُ الذَّهَبِ والفِضَّةِ واللؤلُؤِ، إنَّهُ لوصفٌ يقِفُ العقلُ عنْ تصوُّرِ جمَالِهِ.

إنَّ هذا النعيمَ يحتَاجُ لمزيدٍ مِنَ الجُهْدِ والعَمَلِ الصَّالِحِ والتنَافُسِ الحقيقِيِّ، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾، والسعِيدُ مَنْ عَمِلَ للآخِرَةِ وجعَلَها نُصْبَ عينيهِ وَلَمْ يغتَرّ بزينَةِ الدنيا الفَانِيَة.



الجنازَةُ التي تَشْتَاقُ للقَبر

نعَم، إنَّهُ شَوْقٌ غريبٌ، وفرحٌ لا يُوصَفُ.

لقدْ تعودْنَا أَنْ يكونَ الشــوقُ بينَ المخلوقَاتِ؛ بينَ الابْنِ وأبيهِ، والزوجِ وزوجَتِهِ، وحتى بينَ الحيوانَاتِ تَجِدُ شــوقَ الصغارِ لأمِّهِمْ، وانظُـرْ إِلى الطيورِ ترى شوقًا عامِراً بينَهُمْ، ولكنَّ العجَبَ يمْلَأُ الفؤادَ حينَمَا يكونُ الشوقُ مِنَ الجنازَةِ إِلَى القَبْرِ.

نعَم، إنَّهُ القبرُ؛ تِلْكَ الحفرَةُ العجيبَةُ، ذاتُ التُرَابِ، وذاتُ الديدَانِ.

وتأمَّلْ معي هــذا الحَدِيثَ: «إذا وُضِعَــتِ الجنازَةُ واحتَمَلَهــا الرجَالُ علَى أعنَاقِهِمْ، فـإنْ كانَتْ صالِحَةً

قالَـتْ: قدِّمُونِي، وإنْ كانَتْ غيرَ ذَلك قَالَتْ: يا ويلهَا، أينَ يذهَبُونَ بِهَا؟ يسـمَعُ صوتَهَا كلُّ شيءٍ إلَّا الثقلينِ - أوْ قالَ: إلَّا الإنسَانَ - ولَوْ سَمِعَهُ لَصُعِقَ» رواهُ البُخَارِيُّ.

إنَّهُ لحَدِيثٌ جَدِيرٌ بالتَّأَمُّـل، انظرْ فِي قَوْلِ الجنَازَةِ «قدِّمـوني» إِنَّهَـا جنـازَةٌ، تتكَلَّـمُ، تنـادِي، يَـا رجَالُ «قدِّموني» «ضَعُونِي» «أنزِلُونِـي» «اترُكُونِي» ابتعِدُوا عَنِّي، لا أريدُكُم، يكفِينِي ذلِكَ القبر.

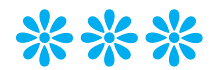
إِنَّ الجِنَـازَةَ الصالِحَـةَ تُحِبُّ القبر؛ لأنَّهَـا تعْلَمُ أنَّ القبرَ سيكونُ لَهَا روضَةً مِنْ رياضِ الجِنَانِ.

وأمّـا الجنازة غير الصالحـة، فتصيح «ياويلها أين تذهبـون بها» إنّهُ صـوت المعاصي، إنّه صوت مؤلم

لـو كنّا نسـمعهُ، إنّ تلك الجنازة تعلـم ما ينتظرها في القبر من العذاب، نتيجةً لأعمالها السيئة.

ومضة:





حينمَا تَزُولُ النِّعَم

قدْ يعيشُ بعضُنَا فِي سَـعَةٍ مِنَ الـرزْقِ فيتغَيَّر، وقَدْ يعيــشُ وهُوَ يتَذَوَّقُ حــلاوَةَ الإيمَــانِ، ولكنَّها بدَأَتْ تتَلاشَى، وَقَدْ يَشْعُرُ بمَحَبَّةِ النَّاسِ لَهُ قَدْ خفَّ بريقُهَا، وَقَدْ يكونُ فِي اســتقرارٍ أُسَرِيٍّ ولكِنَّهُ الآنَ يعَانِي مِنْ مشكِلَاتٍ لَا يعْرِفُ ســببَهَا، وَهَكَذا تتغَيَّرُ تلكَ النعمُ وغيرُها، فيتَسَاءَلُ عنِ السَّبَب.

فيكُونُ الجَوابُ وبِكُلِّ وضُوحٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾.

إنَّ المشكِلَةَ مِنْ عِنْدِكَ، إنَّ السَبَبَ هُوَ أنتَ، فراجعْ نفْسَكَ فِي طَاعَةٍ قصَّرْتَ فيهَا، أَوْ معصِيَةٍ بَدَأْتَ تُكْثِرُ

مِنْهَا، أَوْ حِقْداً وحَسَداً بدَأَ يعْمَلُ في قلبِكَ.

قَالَ تعَالَى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾.

وقديمًا قَالَ السَّلَفُ: مَنْ أحَبَّ تصفِيَةَ الأحوالِ فليجْتَهِدْ فِي تصفِيَةِ الأعمَالِ.

وقَالَ بعضُهُمْ: إذَا أردْتَ أنْ يكونَ اللهُ لَكَ كمَا تُحبُّ فكُنْ لَهُ كَمَا يُحِبُّ.

فيا مَنْ يُحِبُّ دوامَ العَطَاءِ الرَّبَّانِي والتوفِيقِ الإلهي، حاسِبْ نفسَكَ جيداً، واعترِفْ بينَك وبينَ نفسِكَ، وانظُرْ فِي مَوَاطِنِ الخَلَلِ، وَجَدِّدْ توبَتَكَ، وأبْشِرْ بخيرٍ فإنَّ اللهَ قريبٌ مِنْكَ.

وإذَا أصلحْـتَ مـا بينَكَ وبينَهُ فسـوفَ تعـودُ لَكَ العَطَايا مِنَ الكريمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



السَّعَادَةُ في صَلَاةِ الفَجْر

في هدوءِ الليلِ، وسكُونِ النَّاسِ، وأنتَ بينَ أطبَاقِ النَّوْمِ، وإذَا بصوْتِ الأذَانِ يخرِقُ الآذَانَ لِيُعْلِنَ عَنْ «صَلَاةِ الفَجْرِ» فإذَا بِكَ تستيقِظُ وتتوضَّأُ وتلبسُ أجمَلَ ملابِسِكَ، وتمْشِي بأقدَامِكَ إلى بيتِ اللهِ لتجِيبَ داعِيَ اللهِ.

ومـا إنْ تنتهِيَ «صَلَاةُ الفَجْرِ» إلَّا والسعَادَةُ تمْلأُ قلبَكَ، والسرورُ يعْلُو علَى صفحَاتِ وجهِكَ؛ لأنَّكَ وقفْتَ بينَ يدَي اللهِ «مصَلِّيًا وراكِعًا وساجِداً».

وهكذا تجِدُ أنَّ السعَادَةَ فِي «المُحافَظةِ على الصلَاةِ»

وصَدَقَ اللهُ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

وأمَّا ذلكَ النَّائِمُ عَنِ الصلاةِ فإنَّهُ يصبِحُ خبيثَ النفْسِ، كسلانَ، مهمومًا، مغمومًا؛ لأنَّهُ لم يتَمَتَّعْ بلَذَّةِ الصَّلَاةِ، ولَمْ يَذُقْ حلاوَةَ المُنَاجَاةِ، وهكَذا تصنَعُ الذنُوبُ فِي قلوبِ أهلِهَا، وَصَدَقَ اللهُ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾.

فَيَا مَنْ أزعجَتْهُ الهمُومُ، إنَّ عِلَاجَكَ فِي «صَلاةِ الفَجْرِ».



أعمالُكَ ستَرَاهَا فِي مَوْضِعَيْنِ

المَوْضِـعُ الأولُ فِي قبرِكَ، كمَا جَـاءَ فِي الحَدِيثِ

«أنَّ المُؤْمِنَ يُمَثَّلُ لَهُ رجلٌ حَسَنُ الوجْهِ حسنُ الثيابِ، طيـبُ الريـحِ، فيقُـولُ: أبْشِـرْ بالـذي يسـرُّكَ، أبشِـرْ برضـوانٍ مِنَ اللهِ، وجنَّاتٍ فيهَا نعيمٌ مُقِيمٌ، فيقُولُ: مَنْ أنتَ فوجْهُـكَ الوجهُ يجِيءُ بالخيرِ فيقولُ: أنَا عمَلُكَ الصَّالِحُ».

وأمـا الفاجِرُ فيُمَثَّـلُ لَهُ رجـلٌ قبيحُ الوجْـهِ، قبيحُ الثيَابِ، مُنْتِنُ الريح، فيقولُ: أبشِرْ بالذي يسوؤُكَ، هَذَا يومُكَ الذِي كُنْتَ تُوعَد.

فيقولُ: وأنتَ فبَشَّرَكَ اللهِ بالشَرِّ مَنْ أنتَ؟ فوجهُكَ

الوجْهُ الذِي يجيءُ بالشَرِّ، فيقولُ: أنا عمَلُكَ الخبيثُ».

رواهُ أبو داودَ وصَحَّحَهُ الألْبَانِيُّ.

الموضِـعُ الثانِي يـوم القيامَةِ، وهَذَا جَـاءَ فِي عِدَّةِ مواضِعَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَمِنْهَا:

قالَ اللهُ تعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾.

وقالَ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا﴾.

وإذا تَذَكَّرْنَـا ذَلِكَ فِي كُلِّ يـومٍ مِنْ حياتِنَا فَإنَّ إقْبَالَنَا عَلَى الطَّاعَاتِ سيكونُ بشكْلٍ أفضَل، وسوفَ تكونُ لنَا قُوَّةٌ فِي تَرْكِ المُحَرَّمَاتِ.

رَضِيتُ باللهِ رَبًّا

وبَعْدَ زَمَنٍ مِنْ دوامِ القُرْبِ وَبَعْدَ سنِينَ مِنَ التَّعَرُّفِ عَلَى الرَّب إذَا بالقَلْبِ يرتَقِي إلَى مرتَبَةِ الرضَا.

إنهَا لَيْسَــتْ كَلِمَةً تُقَالُ، ولَيْسَــتْ حروفًـا تَنْتَظِمُ في سـطرٍ، ولَكِنَّهُ العَمَلُ القلبِيُّ الذِي مَـلأَ أركانَ القَلْبِ وزواياه.

لقَدْ عاشَ صاحِــبُ ذَلِكَ القلبِ ألوانًا مِنْ صنوفِ المِحَنِ وجَـرَتْ عليهِ أنواعٌ مِنَ البَلايَـا، فَمَا زادَتْهُ إلا حُبـًا لِرَبِّهِ الذِي اختَـارَ تِلْكَ المِحَنَ لَهُ ليربِّيَهُ وليرْفَعَهُ درجَاتٍ عاليَةً فِي جِنَانِ الخُلْدِ.

رضيـتُ بِكَ يـا رَبّ، هُوَ حـالُ القَلْبِ مَـعَ الرَّبِّ، رضيتُ باختيارِكَ وَلَوْ كرِهَـهُ النَّاسُ، رضيتُ بِقَدَرِكَ ولَـوْ كانَ مُؤْلمـًا؛ لأنَّ ثقتِـي في اختيـارِكَ أعظمُ مِنْ محبَّتِي لاختيارِي.

رضيـتُ بِكَ يـا رب؛ لأنَّـكَ أنتَ الحكيـمُ العلِيمُ وأنـتَ الرؤوفُ الخَبِيرُ، يـا رَب، مهْمَا تألَّمَتِ النفسُ لقوَّةِ الألَمِ فلتَعْلَمْ يا رب أنِّي أحِبُّكَ، وأنِّي راضٍ بِكَ.

إنَّ رضـايَ بِكَ جَنَّةٌ عاجِلَةٌ، ومُتْعَةٌ لا توازيهَا نِعْمَةُ الحصولِ عَلَى مَا أحِبُّ وأتَمَنَّى.

إلهـي، أنْتَ الـذِي تعرِفُ مـا يُصْلِحُنِـي فكيفَ لا أرْضَـى، وأنـتَ الـذِي تعْلَمُ مـا يناسِـبُنِي، فكيفَ لَا أرْضَى؟

إلهِـي، كمْ أرجُو أنْ أكـونَ مِمَّنْ فازَ بِهَـذا الثَّوَابِ ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾.

❋❋❋

تتجافى جنوبُهُمْ

هنَاكَ وفي ساعَاتِ الظُلْمَةِ التِي تحيطُ بالحَيَاةِ مِنْ حولِكَ، وحينَمَا تتَعَمَّقُ في نومِكَ وتَذُوقُ لذَّتَهُ، وفِي لحظَاتِ الأحْلامِ التِي تعيشُ تفاصيلَهَا.

هناكَ وحينَمَا تكونُ الزوجَةُ بجانِبِكَ، والفراشُ قَدِ التَصَقَ بِكَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ.

في تلكَ اللحظَاتِ وعبْرَ تلكَ المساكِنِ التي تمتَدُّ علَى هذَا الكوكَبِ، هنَاكَ فِي ذلِكَ البيتِ، فِي ذلِكَ القصْرِ، فِي ذلِكَ الكوخِ، فِي ذَلِكَ البستَانِ، في ذلك البيتِ المُتَهَالِكِ، في تلْكَ الغُرْفَةِ، في تلْكَ الخَيْمَةِ، في ذلِكَ الطريقِ، في ذلك المستَشْفَى، وفي المسجِدِ الحرَامِ، وفي المسجِدِ النبويِّ، وفي المسجِدِ الأقْصَى.

وفي المسـجِدِ الصغيـرِ والكَبيـرِ، في الشـتَاءِ حيثُ الثلـوجُ تتسَـاقَطُ والبَـرْدُ يلُـفُّ المـكَانَ، في الصيفِ حيثُ الحرارَةُ الملتَهِبَةُ تمْلَأُ تلكَ الغُرَفَ.

هنَاكَ أُنَاسٌ تأبَى جنُوبُهُمْ أنْ تَبْقَى علَى الفِرَاشِ.

تتجَافَى جنوبُهُـمْ، وكأنَّ هناكَ حدَثًا كبيرًا يجعَلُهَا ترفُضُ ذلِكَ الفِرَاشَ.

تتجَافَى جنوبُهُمْ، رجالاً أو نسـاءً، شـبابًا وشيبًا، يقومُـونَ، يغسِـلُونَ وجوهَهُـمْ مِـنْ أثَرِ النَّـوْمِ؛ لكيْ يغسِلُوا قلوبَهُمْ بحلاوَةِ الدُّمُوعِ.

تتجَافَـى حياتُهُمْ عنِ التَّعَلُّقِ بـالأرضِ لتنْهَضَ فِي مُنَاجَاةٍ مَعَ فاطِرِ السمَاوَاتِ والأرْضِ.

تتجَافَـى عيونُهُمْ مِنْ سُـكُونِهَا لَعَلَّ دموعَ الشـوقِ لربِّهَا أنْ تتقاطَرَ عبرَ تِلْكَ الركعَاتِ.

تتجَافَـى قلوبُهُمْ عَنِ الغَفْلَةِ والكسَـلِ لكَيْ تتَذَوَّقَ معَانِيَ الأُنْسِ مَعَ اللهِ الحميدِ المَجِيدِ.

تتجَافَى همُومُهْم عَنْ قلوبِهِمْ، لكي يَبُثُّوهَا لمَوْلاهُمُ الذِي سَيَرْأَفُ بِهِمْ ويكشِفُ همُومَهُمْ.

تتجَافَى أمانيهِـمْ عَنِ التَّعَلُّقِ بالبَشَـرِ ليطلِقُوهَا فِي الظَّلَامِ بصوْتٍ مقْرُونٍ بالبُكَاءِ للهِ اللطيفِ الخبِيرِ.

تتجَافَى أيديهِمْ لتَرْتَفِعَ بالقُنُوتِ للهِ القريبِ المُجِيبِ الذِي يستَحِي مِنْ تلكَ الأيادِي التِي رُفِعَتْ فِي الظَّلَامِ بينَ يَدَيْهِ.

تتجافَى أقدَامُهُمْ عَنِ الفِرَاشِ لِكَيْ تقِفَ بِكُلِّ أدَبٍ بينَ يَدَيِ اللهِ الكبيرِ المُتَعَال.

تتجَافَـى طموحَاتُهُمْ عَنِ البَقَاءِ مَـعَ رَكْبِ النائِمِينَ لِكَيْ تسيرَ مَعَ قَوَافِلِ المُتَهَجِّدِينَ.

تتجَافَى أجسَـادُهُمْ مِنْ غُرَفِهِـمُ المظلِمَةِ وتبْحَثُ عَنِ النورِ الذِي سيضيءُ قلوبَهُمْ وقبورَهُمْ.

تتجَافَـى أرواحُهُمْ عَـنْ علائِقِ الدنيـا لتَتَّصِلَ باللهِ حيـثُ الحياةُ الحقيقيَّةُ في المناجَاةِ بينَ يديهِ، وانتظَارِ الهدَايَا التِي يبُثُّهَا فِي الظَّلَامِ.

تتجَافَى جنُوبُهُمْ وجوارِحُهُمْ ومقَاصِدُهُمْ.

كلُّ شيءٍ يتجَافَى، نعَمْ، لَقَدْ نَزَلَ الرَّبُّ إلَى السَّمَاءِ الدنيا ليمْنَحَ عطاياهُ للسائِلِين.

مشغُولٌ أَمْ مَحْرُوم

«أنَـا مَشْـغُولٌ» كلِمَةٌ نسـمَعُهَا كثيـراً فِـي واقِعِنَا،

وتتَرَدَّدُ هَذِهِ الجمْلَةُ لدَى البعضِ مِنَ الناسِ، وخاصَةً عِنْدَ سـمَاعِ التحفِيزِ لعَمَلٍ صَالِحٍ؛ مِثل: قراءة القرآنِ الكريمِ.

فلَا تتعَجَّبْ إذَا سـِمعْتَ بعضَ النَّاسِ عندَمَا يقولُ:

أريدُ قراءَةَ القُرْآنِ ولكنِّي مشغُولٌ، أريدُ صيامَ النَّوَافِلِ وقيامَ الليـلِ وأدَاءَ العمرَةَ وحضُـورَ مجالِسِ الذكْرِ، وغيـرَ ذَلِكَ مِـنْ صالِـحِ الأعمَـالِ، ولكـنَّ صاحِبَنَا لَا يحفَـظُ إلا كلمَـةَ أنَـا مشـغولٌ، لكَـي يُقْنِعَ نفْسَـهُ بسببِ تركِهِ لِهَذَا العَمَلِ الصَّالِحِ.

والسـؤالُ هنَا: هَلْ هو مشـغُولٌ فِعْلاً أَمْ يا تُرَى هُوَ مِنَ المحرومِين؟

إنَّ الحَيَـاةَ مليئَـةٌ بالأعْمَـالِ والهمُومِ والمَشَـاغِلِ بِـلَا رَيْبٍ، ولَا يَـكَادُ الواحِدُ منا ينتَهِي مِـنْ عملٍ إلَّا وَيَجِدُ عملاً آخَرَ ينادِيهِ هَلُمَّ إلَيَّ.

ولَكِـنْ أَلَا نُجيدُ ترتيبَ حياتِنَـا وضبْطَ الأولويَّاتِ فِي أعمَالِنَا لِكَيْ نَجْمَـعَ بينَ العمَلِ للدنيا وبينَ العَمَلِ للآخِرَةِ؟

إنَّـهُ لا يصِحُّ أنْ نَكْـدَحَ لِعَمَلِ الدنْيَـا ونحتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَـى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [سـورة القصـص: آيـة ٧٧] ونَنْسَـى أنْ نَضَـعَ فِي جـدولِ أعمَالِنَا بعـضَ الأعمَـالِ الصالِحَةِ لتكونَ زاداً لنـا فِي قُبُورِنَا

ويوم حَشْرِنَا ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾

[سورة البقرة: آية ١٩٧].

إنني أجْزِمُ أنَّ المرْءَ مهْمَا كانَ مشْغولاً فَإِنَّهُ يستطيعُ ترتيبَ وَقْتِهِ وتعبئَتَهُ بصَالِحِ الأعمَالِ، ولنْ يتحَقَّقَ ذلِكَ إلَّا إذَا أيقنَّا بأنَّنَا بحاجَةٍ للعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لأنَّهُ سبَبٌ للسعَادَةِ والتوفِيقِ فِي الدنيَا والآخِرَةِ.

وإنَّ الحدِيثَ عَنِ العَمَلِ الصَّالِحِ لَا يعْنِي أنْ نُقَصِّرَ فِي أعمَالِنَا الدنيويَّةِ، ولكنْ هِيَ دعْوَةٌ إلَى إيجادِ التوازُنِ بينَ العَمَلِ للدنيا وبينَ العَمَلِ للآخِرَةِ.



عِتَابٌ لِبَعْضِ مُحِبِّي العِبَادَة

مِنْ أَجْمَلِ النِّعَمِ الربانِيَّةِ أَنْ تكونَ مِنْ محبِّي العِبَادَةِ، وَهِـيَ عطِيَّةٌ عُظْمَـى، لا يَعْرِفُ قدْرَهَـا إِلا مَنْ ذاقَهَا، وَلَكِنْ تَبْقَى هُنَا مَسْـأَلَةٌ مُهِمَّةٌ، وهِيَ: تأْسِـيسُ العبادَةِ علَى العِلْم.

إِنَنَا نَرَى مَـنْ يُحِبُّ العِبَادَةَ ويأَلَفُهَـا، ويجْتَهِدُ فيها اجتِهَـاداً عظيمـاً، وَلَكِنْ - وبِكُلِّ صِـدْقٍ - نَرَى مِنْ بَعْضِ هؤلاءِ مَنْ يجهَلُ العِلْمَ - فتَجِدُهُ يَقَعُ في أخطَاءٍ فِـي هَذِهِ العِبَادَةِ، بَـلْ قَدْ يَقَعُ فِي بِـدَعٍ وَهُوَ لا يَعْرِفُ أَنَّهَـا بدَعٌ، وقَدْ يُحَسِّـنُ لَهُ الشـيطَانُ ذَلِـكَ ويَرَى أَنَّ عمَلَهُ حَسنٌ وَلَعَلَّهُ يزْدَادُ مِنَ اللهِ بُعْداً وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

ولذَلِكَ اتفَقَتْ كلِمَةُ السَّلَفِ علَى وجوبِ الاتِّبَاعِ للسُنَنِ، وعدَمِ الاغْتِرَارِ بالعَمَلِ إلا بَعْدَ عرضِهِ علَى ميزَانِ الشَّرْعِ.

والشرعُ ميزانُ الأمورِ كلِّهَا
وشَاهِدٌ لفرْعِهَا وأصلِهَا

والمشكِلَةُ تكمُنُ فِي أنَّ النَّاسَ يُحِبُّونَ العَابِدَ لِما يظْهَرُ عليهِ مِنَ العلامَاتِ كالخُشُوعِ، والبُكَاءِ، والزُّهْدِ، مَعَ عدَمِ التفريقِ بينَ صَوابِ فعْلِهِ أو خطئِهِ، ولهَذَا قَالَ السَّلَفُ: احذَرُوا زَلَّةَ العَابِدِ.

وكمْ رأينَا مِنْ أشْخَاصٍ اغتَرُّوا بِبَعْضِ العُبَّادِ، وقلَّدُوهُمْ فِي عبَادَتِهِمْ سواءً فِي الألفَاظِ أوْ فِي الأعمَالِ، وَلَوْ أنكرْتَ علَى هؤلاءِ لَقَالُوا لَكَ:

ولكِـنَّ فلانًـا يفعَلـهُ، فيَا عَجَبـًا لَهُمْ، وهَلْ فـلانٌ هُوَ القدوَةُ فيمَا يُفعَلُ وفيمَا يُتْرَكُ، أمْ أنَّ القُدْوَةَ هُوَ الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذِي يُقبَلُ قَوْلُهُ وفِعْلُهُ بدونِ اعتِرَاض؟

وأمَّا غيرُهُ مِنَ الخَلْقِ مَهْمَا كانُوا، فَلَا بُدَّ مِنْ عرْضِ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى الشرْعِ.

ومَـنْ تَأَمَّلَ حَالَ أهـلِ البِدَعِ، يَجِـدُ أنَّ مِنْهُمْ طائِفَةً تعَلَّقُوا بالعِبَادَةِ ولكِنَّهُمْ علَى غيرِ عِلْمٍ ومِنْهُمُ الخوارِجُ الذِينَ قَالَ فيهِمْ رســولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَحْقِرُ أحدُكُمْ صلاتَهُ عِنْدَ صلاتِهِمْ) رواهُ البُخَارِيُّ.

ولَقَدْ رأيتُ بَعْضَ العُبَّادِ ومِمَّنْ يُشَـارُ لهُمْ بالبَنَانِ، وَلَكِـنْ عليهِمْ مِنَ الأخطَاءِ مَا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا إلا مَنْ يعرِفُ السُنَّةَ وذاقَ حلاوةَ العِلمِ.

وبعضُ أصحَابِ العبادَةِ يجهَلُونَ مراتِبَ الأعمَالِ، ولا يُمَيزونَ بينَ الفاضِلِ والمفضولِ.

ويلاحَظُ علَى بعضِهِمُ العنَايَةُ بالتوجيهِ للعبَادَةِ فقَطْ، ولَا تسمَعُ منهُ الحديثَ فِي العقائِدِ أو الفِقْهِيَّاتِ أوِ النواحِي التربوية.

وبعضُهُمْ يستدِلُّ فِي حديثِهِ ووعظِهِ بالأحاديثِ الموضوعَةِ وفِي هذا مِنَ الخطَرِ ما فيهِ، حيثُ وقَعَ فِي الكَذِبِ علَى النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومِنَ العُبَّادِ مَنْ يجهَلُ خفايا النفوسِ وأسرَارَ القُلوبِ، فَلا يُفَرِّقُ بينَ إظْهَارِ العمَلِ وإخفائِهِ، فهوَ إمَّا أنْ يُخْفِيَ عمَلَهُ كلَّهُ، أوْ يظهرَهُ كلَّهُ، ويجهَلُ ضوابِطَ الإظهَارِ أوِ الإخفَاءِ.

ومنهُمْ مَنْ ينْشَـغِلُ بالعِبَادَةِ عَنِ التحصيلِ العلمِيِّ، فَهُوَ قَدْ يختِمُ القرآنَ في أسبوعٍ أو أقَلَّ، ولكنَّهُ لَمْ يقرَأْ أبـداً فِي نواقِضِ الإسـلامِ وَلَـوْ لدقَائِـق، ولا يعرِفُ أبسَطَ قضايا الطهَارَةِ والصَّلَاةِ.

ومنهُـمْ مَنْ تـراهُ حريصـًا علَـى العِبَـادَةِ، ولكِنَّهُ لَا يُنكِرُ منكراً ولا يأمُـرُ بمعْرُوفٍ، وقَدْ غلَبَ عليهِ حُبُّ العبـادَةِ، عَلَى حُـبِّ الدَّعْوَةِ، ولَا شَـكَّ أنَّ هَذَا خَطَأٌ كبيرٌ، جرَّهُ عليهِ الغفْلَةُ عَنِ العِلْمِ.

ولعَلَّ الخواطِـرَ لهؤلاءِ العُبَّادِ تَطُـولُ، ولَكنْ لَعَلَّ مَا جـرَى بِهِ القَلَمُ يُغْنِي عنْ كلِّ مـا يدورُ فِي القَلْبِ، والتوفِيقُ بِيَدِ العَلِيِّ الأعْلَى.

وسائِلُ تعينكَ عَلَى ترْكِ الذنوب

الوقوعُ فِي الذنْبِ أمْرٌ فِطْرِيٌّ لابُدَّ مِنْ وقوعِهِ، وَقَدْ أخطَأَ أبونَا آدَمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولكنَّهُ تابَ، ومَنْ شَابَهَ أبَاهُ فَمَا ظَلَم.

ونبِيُّنَا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُولُ: «لَوْ لَمْ تذنبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ ولجَاءَ بقومٍ يُذْنِبُونَ فيستغفرونَ فيغْفِرُ اللهُ لَهُمْ»

رواهُ مسلم.

والذنوبُ تختَلِفُ مِنْ شخصٍ لآخَرَ وَمِنْ حَالٍ إلَى حَالٍ.

فذنْبُ العالِمِ ليسَ كَذَنْبِ الجَاهِلِ، والمعصيَةُ فِي مكَّةَ ليستْ كالمَعْصِيَةِ في غيرِهَا، وسوءُ الخُلُقِ

مَـعَ الوالِدَيْنِ لا يُمَاثِلُهُ مَعَ غيرِهِمَـا، وَهَكَذا تختَلِفُ دَرَجاتُ الذُّنُوبِ.

وحديثِـي هنَا عَنْ عوامِلَ تَقِيكَ بـإِذْنِ اللهِ تعَالَى مِنَ الإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ:

١. **أنْ تعلَـمَ بـأَنَّ اللهَ يـراكَ ويطَّلِـعُ علَـى خفايَاكَ،**

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [سـورة العلق: آية ١٤]

فمَهْمَـا اختفَيْتَ عَنْ أهلِكَ فَلَنْ تختَفِيَ عنِ اللهِ الذِي يعلَمُ بحَالِكَ.

٢. **أنْ تتَأَمَّـلَ فِي عواقِبِ الذنـوبِ فِي الدنيا وآثارِهَا علَى نفسِكَ وأهلِكَ ورزقِكَ،** فَهِيَ تُقَسِّي القلبَ وتجْلِبُ الهَمَّ وتُذْهِبُ الرزقَ أوْ تُزِيلُ بركَتَهُ.

٣. **أنْ تُفَكِّـرَ فِي عواقِبِ الذنُوبِ عنـدَ المَوْتِ ومَا بَعْدَهُ مِنْ عذابِ القَبْرِ،** فربَّمَا كانَتْ ذنوبُكَ سببًا لسوءِ الخاتِمَةِ أَوْ لعذَابِ القَبر.

٤. **الابتعَادُ عَنِ الصحبَةِ السيئَةِ** التِي تُذَكِّرُكَ بالمَعْصِيَةِ.

٥. **ادْعُ رَبَّكَ بِأَنْ يحمِيَكَ مِنَ الذنُوبِ.**

٦. **املأْ فَرَاغَكَ بِمَا ينفَعُكَ مِنْ أمورِ الدينِ والدنيا؛** لأنَّ الفَرَاغَ بَوابَةُ الانحِرَافِ والذنُوبِ.

٧. **تَأَمَّـلْ فِـي قِصَـصِ التائِبِيـنَ الذِينَ تَرَكُـوا تِلْكَ الذنُوبَ،** وكيفَ هِيَ سعَادَتُهُمُ الآنَ.

٨. **سـمَاعُ المواعِـظِ الإيمانِيَّةِ التِـي تُرَقِّـقُ القَلْبَ** وتُقَوِّي جانِبَ الخَوْفِ مِنَ اللهِ تعَالَى.

٩. تَذَكَّرْ أَنَّ الجَنَّةَ للمتقينَ الذِينَ تَرَكُوا المُحَرَّمَاتِ،
قَالَ تَعالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ
عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات:
الآيات ٤٠-٤١].

١٠. اعلَمْ أَنَّ اللهَ خَلَقَ النَّارَ وجعَلَهَا للمُعْرِضِينَ، ومَا
يُدْرِيكَ فَلَعَلَّكَ تكونُ مِنْ أهلِهَا بسببِ إصرَارِكَ
عَلَى تِلْكَ الذنُوبِ، قَالَ تعَالَى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ
وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا
ٱلرَّسُولَا۠﴾ [سورة الأحزاب: آية ٦٦].

اللهُمَّ احفَظْنَا مِنَ الإصْرَارِ عَلَى الذنوبِ وَاجْعَلْنَا
مِنْ عِبَادِكَ المُتَّقِينَ.

مِنْ عُقُوبَاتِ الذنُوبِ

إذَا كَانَتِ الحَسَنَاتُ لَهَا ثَمَرَاتٌ فِي نَفْسِكَ وحيَاتِكَ وفِي قبرِكَ ويَوْمَ القِيَامَةِ، فَإِنَّ الذنوبَ لَهَا عُقُوبَاتٌ عَلَى نَفْسَكَ وحيَاتَكَ وفِي القَبْرِ وفِي الآخِرَةِ، ولَعَلَّ أكثرَ مِنْ تَكَلَّمَ فيهَا ابنُ القيمِ فِي كتَابِهِ الجَوابِ الكافِي، فإليكَ بَعضَ عقوبَاتِ الذنوبِ لَعَلَّكَ تَحْذَرُ منْهَا:

١. **ضيقُ الصَّدْرِ الذِي يشعُرُ بِهِ المُذْنِبُ، حتَّى إنَّهُ رُبَّمَا لَمْ يَجِدْ لَهُ سببًا ظاهِرًا،** ولكنَّها الذنُوبُ التِي تَجْلِبُ الهمُومَ والأحزَانَ، وصدَقَ اللهُ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾

[سورة طه: آية ١٢٤].

٢. حِرمَانُ الـرزْقِ، وفِي الحَدِيثِ «إنَّ العَبْدَ ليُحْرَمُ الرزْقَ بالذنْبِ يصيبُهُ» روَاهُ أحمَدُ بسـنَدٍ صحيحٍ، وكَمَا أَنَّ تقوى اللهِ مَجْلَبَةٌ للرزقِ، فترْكُ التَّقْوَى مَجْلَبَةٌ للفَقْر.

٣. الوَحْشَـةُ التِي تَحْصُلُ بينَ المُذْنِبِ وبينَ النَّاسِ ولاسـيَّمَا أهل الخيـرِ مِنْهُـمْ فإنَّهُ يَجِدُ وحشَـةً بينَهُ وبينَهُمْ، وكُلَّمَا قَوِيَتْ تِلْكَ الوحْشَـةُ ابتَعَدَ عنْهُمْ وحُرِمَ بَرَكَةَ الانتِفَـاعِ بِهِمْ، وأصبَحَ قريبًا مِنْ أصْدِقَاءِ السوءِ.

٤. وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذنُوبِ: تعسِـيرُ أمـورِهِ عليهِ فَلَا يتَوَجَّهُ لأَمْرٍ إلا وجدَهُ مُغْلَقًا دُونَهُ أو مُتَعَسِّرًا عَلَيْهِ،

وَهَذَا كَمَا إِنَّ مَنِ اتَّقَى اللهِ جَعَلَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً، فَمَنْ عَطَّلَ التقوَى جعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ أمرِهِ عُسْراً.

٥. ومنهَا: **حِرْمَانُ الطاعَةِ** فَلَوْ لَمْ يكنْ للذَنْبِ عقُوبَةٌ إلَّا أَنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الطَّاعَةِ لكفى به.

٦. **وَمِنْهَـا: أَنَّ المَعَاصِـيَ تَـزْرَعُ أمثالَهَـا،** وتُولِّـدُ بعْضَهَا بعضـاً حَتَّى يصعُبَ علَى العبْدِ مفارَقَتُهَا والخُروجُ مِنْهَا، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إنَّ مِنْ عقوبَـةِ السـيئَةِ السـيئَةَ بعْدَها، وإنَّ مِـنْ ثوابِ الـحَسَنَةِ الـحَسَنَةَ بعدَهَا.

٧. **ومنْهَا: أَنَّهُ يَنْسَـلِخُ مِنَ القَلْبِ استقبَاحُهَا فتصيرُ لَهُ عادَةً** فَلَا يسـتَقْبِحُ مِنْ نَفْسِـهِ رؤيـةَ النَاسِ لَهُ ولَا كلامَهُمْ فِيهِ، حتَّى يفتَخِرَ أحدُهُمْ بالمَعْصِيَةِ

ويُحَـدِّثُ بِهَا مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ عَمِلَهَا، فيقُولُ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا.

٨. ومنها: أَنَّ المَعْصِيَةَ سببٌ لِهَوانِ العَبْدِ عَلَى ربِّهِ وسقوطِهِ مِنْ عينِهِ، قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: هانُوا عليهِ فَعَصَوْهُ وَلَوْ عَزُّوا عليْهِ لحِفظَهُمْ، وإذَا هَانَ العَبْدُ على اللهِ لَمْ يكرِمْهُ أَحَدٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: آية ١٨].

٩. ومِنْهَا: أَنَّ الذنوبَ إِذَا تكاثَرَتْ طُبِعَ على قلبِ صاحِبِهَا فَكانَ مِنَ الغَافِلِينَ، كَمَا قَالَ بعْضُ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ تعالَى ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: آية ١٤] قَالَ: هُوَ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ.

١٠ . وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُضْعِفُ تعظِيمَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ فِي قلْبِ العَبْدِ، وَلَوْ تَمكَّنَ وقارُ اللهِ وعظَمَتُهُ فِي قلبِ العَبْدِ لَمَا تَجرَّأَ علَى معَاصِيهِ.

١١ . وَمِنْ عقوبَاتِ الذنُـوبِ: أَنَّهَا تُزِيلُ النعَمَ وتُحِلُّ النِّقَمَ، فَمَـا زَالَتْ عنِ العَبْـدِ نِعْمَةٌ إلا بسَـبَبِ ذنْـبٍ ولَا حلَّـتْ بِهِ نقمَـةٌ إلا بذنْـبٍ، كَمَا قَالَ علِيُّ بـنُ أبي طالِـبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا نَـزَلَ بَلاءٌ إلا بذَنْـبٍ وَلَا رُفِعَ بلاءٌ إلَّا بِتوْبَـةٍ، وَقَدْ قَالَ تعَالَى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: آية ٣٠].

وقَالَ تَعالَى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: آية ٥٣].

١٢. **وَمِنْ عقوبَاتِهَا: أَنَّهَـا تَمْحَقُ بركَةَ العمرِ، وبركَةَ الـرزْقِ، وبرَكَـةَ العِلْـم، وبركَةَ العَمَـلِ، وبركَةَ الطَّاعَـةِ**، وبالجملَـةِ أَنَّهَـا تَمْحَـقُ بَرَكَـةَ الدِّينِ والدنْيَا فَلَا تَجِدُ أَقَلَّ بَرَكَةً فِي عمرِهِ ودِينِهِ ودنياهُ مِمَّنْ عَصَى اللهَ، وَمَا مُحِيَتْ البَرَكَةُ مِنَ الارضِ إلَّا بمعاصِي الخَلْقِ، قَـالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف: آية ٩٦].

١٣. **أَنَّها سَبَبٌ لسوءِ الخَاتِمَةِ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ**، وَكَمْ سَـمِعْنَا ورَأَيْنَا مِـنْ قِصَصِ الذينَ عَاشُـوا عَلَى المَعَاصِي كيفَ مَاتُوا، فَهذَا يمُوتُ وَهُوَ يتعَاطَى المُخَـدِّرَاتِ، وآخَرُ يمُوتُ وَهُـوَ تَارِكٌ للصَلَاةِ

وينَـادِي عِنْـدَ موتِـهِ «أنَا فِـي سَـقَر»، وَقِصَصٌ أخْرَى كثيرَةٌ، والسعِيدُ مَنْ وُعِظَ بغيرِهِ.

١٤. **أنَّهَـا سَـبَبٌ لعَـذَابِ القَبْرِ**، وَقَـدْ جَـاءَتْ عِدَّةُ أحادِيـثَ بالتَّحْذِيـرِ مِنْ بعـضِ الذُّنُـوبِ التِي تُسَبِّبُ عذَابَ القَبْرِ، مثلَ حديثِ سَمُرَةَ الطَّوِيل، ومِمَّـا جَاءَ فيهِ «عذابُ الذِي يَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ أنَّهُ يُضْرَبُ رَأْسُـهُ بِحَجَرٍ فيَتَحَطَّمُ الرأسُ ويتَحَطَّمُ الحَجَـرُ، ثُـمَّ يعودُ رأسُـهُ مَـرَّةً أُخْـرَى، ويُفْعَلُ كذَلِكَ حَتَّى تقُومَ القيامَةُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

نسـأل الله أن يغفر لنا ذنوبنـا وأن يباعد بيننا وبينها كما باعد بين المشرق والمغرب.

شَفَاعَةُ الصَّالِحِينَ فِي أصحَابِهِمُ الذينَ دَخَلُوا النّارَ

فِـي الحَدِيـثِ الـذِي رواهُ مسـلِم، لمَّا ذَكَـرَ النَّبِيُّ ﷺ **الصـرَاطَ،** وَأَنَّ أهـلَ الإيمَـانِ يَمُـرُّون عليـهِ، قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: حَتَّـى إذَا خلُصَ المؤمنونَ مِنَ النَّارِ، فوالذِي نفْسِـي بيَـدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ بأشَـدَّ مُنَاشَـدَةً للهِ فِي اسـتِقْصَاءِ الحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنينَ للهِ يَومَ القِيَامَـةِ لإخوانِهِـمُ الذينَ فِـي النَّارِ، يقولُـونَ: ربَّنَا، كانُوا يصومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، ويَحُجُّونَ.

فَيُقَـالُ لَهُمْ: أخرِجُوا مَنْ عَرَفْتُـمْ. فتحْرُمُ صورُهُمْ علَـى النَّارِ، فَيُخرِجُونَ خَلقًا كثِيـراً، قَدْ أخذَتِ النَّارَ إلَى نِصْفِ ساقَيْهِ، وإِلَى رُكْبَتَيْهِ.



التعليق:

يبينُ لَكَ هَذَا الحديثُ تِلْكَ الرحْمَةَ التِي فِي قُلُوبِ الصَّالِحِينَ لإخوانِهِمْ وأصحَابِهِمُ الذِينَ دَخَلُوا النَّارَ.

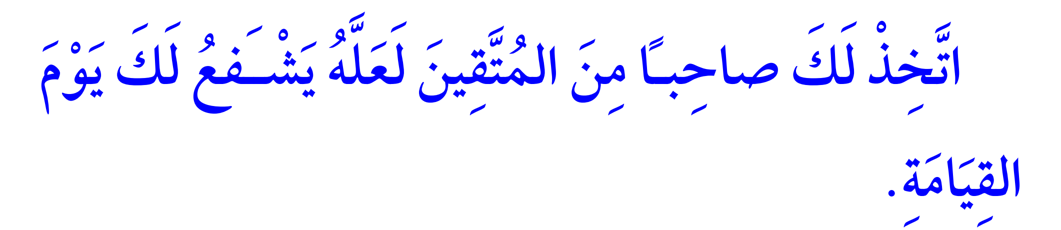
إنهُمْ لَمْ يرضُوا أنْ يدخُلوا الجنَّةَ إلَّا بَعْدَ أنْ يَخْرُجَ أولئكَ الأصْحَابُ مِنَ النَّارِ.

إنَّهَا رَحْمَةٌ رائِعَةٌ، إنَّهُ مَشْهَدٌ عجِيبٌ، يوحِي لَكَ بِأَنَّ أهْلَ الإيمَانِ لَا يفكِّرُونَ فِي أنفُسِهِمْ حتَّى وَهُمْ عِنْدَ أبْوَابِ الجَنَّةِ.

ولعَلَّ بعضَ الذينَ دَخَلُوا النَّارَ كانَ مِمَّنْ يؤذِي أولِئكَ الصَّالِحِين، وَمَعَ ذَلِكَ فَإنَّ الصَّالِحِينَ يتَجَاوَزُونَ تِلْكَ التصرُّفَاتِ، ويشفَعُونَ لَهُمْ عِنْدَ ربِّهِمْ لِيُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ.

مَا أرْوَعَ أخلاقَ أهلِ الإيمَانِ، وَمَا أرحَمَهُمْ بغيرِهِمْ مِمَّنْ سَارَ فِي طريقِ الحَرَامِ.

ومضة:


اتَّخِذْ لَكَ صاحِبًا مِنَ المُتَّقِينَ لَعَلَّهُ يَشْفَعُ لَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ.



إنَّهُ نُورُ الإيمَانِ

جمِيلٌ أنْ تَكُونَ مِمَّنْ سَخَّرَ جوارِحَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَانطَلَقَ بِهِمَّتِهِ إلَى مَا يُحِبُّهُ الله، حينَهَا يُشرِقُ القَلْبُ بنُورِ الإيمَانِ.

إنَّ هَذِهِ الحَسنَاتِ لَهَا ثَمَرَةٌ بَلْ ثِمَارٌ، وَمِنْ أغْلَى هَذِهِ الثمَارِ هُوَ «نُورُ الإيمَانِ» قَالَ تعَالَى: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة النور: آية ٣٥] فاللهُ هُوَ الهَادِي وَهُوَ الذِي يَبْعَثُ هَذَا النُّورَ فِي قُلُوبِ أوليَائِهِ.

وهذَا النُّورُ مقتبَسٌ مِنَ الوَحْيِ؛ فالقرآنُ نورٌ، والسُّنَّةُ نورٌ، قال تعالى ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا﴾

[سورة التغابن: آية ٨].

وإِذَا كانَ اللهُ قَدْ سَمَّى الدينَ والوَحْيَ نورًا فَاعْلَمْ أنَّ نصيبَكَ مِنْ هَذَا النورِ عَلَى قَدْرِ التِزَامِك بِهَذَا الوَحْيِ.

ونـورُ الإيمَانِ الذِي سـكَنَ فِـي قلـوبِ المؤمِنينَ مُتَفَـاوِتٌ علَى قَدْرِ تفاوُتِهِـمْ في قربِهِمْ مِـنَ الرَّحْمَنِ، فهَذَا قَـدْ مُلِئَ نورًا وإيمَانًا، وبِجَانِبِـهِ مَنْ هُوَ أضعَفُ مِنْهُ نُورًا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ للعَبيدِ.

وهَذَا النورُ يَقْوَى حتَّى يَظْهَرَ علَى صفحَاتِ الوَجْهِ حتَّـى إنَّكَ تَرَى بعضَ النَّاسِ وَعَلَى وجوهِهِمْ إضاءَةٌ مِنْ نورٍ فَمَا هُوَ؟

إنَّـهُ نورُ الإيمَـانِ، ولِهَذَا قَالَ ابـنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا:

(إِنَّ للحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الوجهِ، ونورًا فِي القَلْبِ).

وهذا أَحَدُهُمْ يسـأَلُ الحَسَـنَ البصرِيَّ: لمَاذَا أَهْلُ صلاةِ الليْلِ أَحَسَنُ النَّاسِ وجوهـاً؟

فقَالَ: خلَوا باللهِ فألبَسَهُمْ نوراً مِنْ نُورِهِ.

ولا يـزَالُ العبْدُ يُنَافِسُ في الحسَـنَاتِ ويسَـابِقُ إلَى الصَّالِحَاتِ حَتَّى يَقْـوَى نورُ الإيمانِ فِي قلبِهِ، فيظْهَرُ عليهِ عِنْدَ موتِهِ، فكَمْ سمِعْنَا مِنْ أمْوَاتٍ لمَّا مَاتُوا وَعِنْدَ تغسـيلِهِمْ وتكفينِهِمْ رَأَى المُغَسِّلُونَ نوراً وضيَاءً فِي الوجْهِ.

ولا يزالُ هـذَا النُّورُ يُتحِفُ صاحِبَـهُ بالهَدَايَا فيأتيهِ فِي قبرِهِ، فيضيءُ لـهُ كالقَمَرِ ليلَةَ البَدْرِ، كَمَا صَحَّ فِي الحدِيثِ.

وفي يوم القِيَامَةِ حيثُ الأهوالُ، إذَا بِكَ تلتَفِتُ فتَرَى هنَاكَ فئَةً وترى علَى وجوهِهِمْ نُوراً عجيباً وَصَفَهُ الرسولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: (أولُ زُمْرَةٍ يدخُلونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ ليلَةَ البَدْرِ) رواهُ البُخَارِيُّ.

وعندَ المرورِ على الصِّرَاطِ وفي شِدَّةِ الظَّلَامِ يُشرقُ نورُ الإيمَانِ لأهْلِهِ، قالَ تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ [الحديد: آية ١٢].

فيَعْبُرونَ علَى الصرَاطِ بِهَذَا النورِ وينطَلِقُونَ بِكُلِّ سرْعَةٍ نَحوَ الجِنَانِ، وحينَمَا يَدْخُلُونَ الجِنَانَ إذَا بِهِمْ فِي قصُورِهَا وبينَ أنهَارِهَا وتحيطُ بِهِمْ أشجَارُهَا وثمَارُهَا، وهُمْ مَعَ زوجَاتِهِمْ مِنَ الحُورِ العِينِ، وَالخَدَمُ يطوفونَ بِهِمْ ولَا يزالُونَ فِي نعيمٍ مُقِيمٍ أبَدَ الآبَادِ.

وهذَا جزَاءُ كُلِّ مَنْ تَمَسَّـكَ بنـورِ الإيمَانِ، فاللهُمَّ هَبْ لنَا مِنْ لَدُنْكَ نُوراً.

❊❊❊

أولُ مجمُوعَةٍ تَدْخُلُ الجَنّةَ

عَـنْ سَـهْلِ بـنِ سـعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـالَ: قـالَ النبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَدْخُلَـنَّ الجنَّةَ مِنْ أمَّتي سـبعُونَ ألفـًا متَمَاسِـكينَ، آخِذٌ بعضُهُمْ بِبَعْضٍ، حتَّى يدخُلَ أولُهُمْ وآخرُهُـمُ الجَنَّـةَ، ووجوهُهُـمْ علَى ضوءِ القَمَـرِ ليلَةَ البدْرِ». مُتَّفَقٌ عليه.

فوائِدُ الحديثِ مِنْ مجمُوعِ روايَاتِ الحَدِيثِ:

١ - فِي روايَةٍ للبُخَـارِيِّ: أولُ زُمْرَةٍ يدخُلونَ الجَنَّةَ علَى صورَةِ القَمَرِ ليلَةَ البَدْرِ.

إذاً هُمْ أولُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بَعْدَ الأنبيَاءِ، ووجوهُهُمْ كالقَمَرِ ليلَةَ البَدْرِ.

ويدْخُلونَ متَمَاسِكِينَ كُلُّ واحِدٍ آخِذٌ بيدِ الآخَرِ.

وهذَا المَشْهَدُ يجعَلُك تشعُرُ بِأَنَّ هَذَا التَّمَاسُك فيهِ مَعْنَى لطيفٌ ومحَبَّةٌ واتفَاقٌ عَلَى الصدْقِ مَعَ اللهِ والاجتِهَادِ فِي مرضَاةِ اللهِ.

٢- وفِي الحَدِيثِ: بيَانٌ لِسَعَةِ أبوابِ الجَنَّةِ.

٣- وفيهِ: أثَرُ العَمَلِ الصَّالِحِ فِي نورِ الوجْهِ لأولئكَ السَّابِقينَ إلَى الجَنَّةِ.

٤- فِي روايَةٍ عِنْدَ البُخَارِيِّ «عَلَى قلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا اخْتِلافَ بينَهُمْ ولا تبَاغُضَ» وإنَّكَ لتَتَعَجَّبُ مِنْ هَذَا الوصْفِ فِي اتِّفَاقِ فِي القُلُوبِ، وكأَنَّ هَذَا العَدَدَ (سبعين ألفًا) يتَشَابَهُونَ فِي صَفَاءِ القَلْبِ وسَلَامَتِهِ.

٥- وفِي روايَةٍ عِنْدَ أحمَدَ «فأولُ زمْرَةٍ مِنْ أمتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ صورَةُ كلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ علَى صورَةِ القمَرِ ليلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الذينَ يلونَهُمْ كَأَشَدِّ ضوءِ نجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ هُمْ مَنَازِلُ بَعْدَ ذلِكَ».

ويُستَفَادُ مِنْ ذلِكَ: تَفاوُتُ النُّورِ الذِي يَظْهَرُ عَلَى وجوهِ أهْلِ الجَنَّةِ حسْبَ أعْمَالِهِمْ.

ومضة: كُلُّ واحِدٍ مِنَّا قَادِرٌ أَنْ يكونَ مِنْ هَذَا العَدَدِ، فالمَجَالُ مَفْتُوحٌ، ويُمْكِنُكَ أَنْ تَدْخُلَ فِي التَّسَابُقِ للمَنَازِلِ العَالِيَةِ فِي الجَنَّةِ، فاجْتَهِدْ فِي عمرِكَ القَصِيرِ، فَهُنَاكَ خُلُودٌ أبَدِيٌّ فِي جنَانِ الخُلْدِ، وفِي نعيمٍ مُقِيمٍ، ويكفِيهِ مِنْهُ رؤيَةُ اللهِ تعَالَى، وَمُجَاوَرَةُ النبيينَ والصديقينَ والشهَدَاءِ والصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أولئِكَ رَفيقًا.

مِنْ مَدَاخِلِ الشّيْطَانِ

قالَ أحَدُ السَّلَفِ: إِنَّ الشـيطَانَ ليفْتَحُ للعَبْدِ تسعَةً وتسـعِينَ بابـًا مِنَ الخيرِ يريدُ بِهَا بابـًا مِنَ الشَـرِّ. سِـيَرُ أعلامِ النُّبَلَاء ٧ / ٣٦٨

 **التعليق:**

يجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ الشـيطَانَ عَدُوٌّ لَنَـا، وَهَذَا العَدُوُّ يسـتخْدِمُ عِدَّةَ وسائِلَ للنَيْلِ مِنَّا لِيُضْعِفَ دِينَنَا ويوقِعَنَا فِي المُحَرَّمَاتِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَنْ مَكْرِ إبليسَ ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة ص: آية ٨٢].

ومِنْ خُطُوَاتِ الشيطَانِ أَنْ يُقْنِعَكَ ببعْضِ المُبَاحَاتِ، حَتَّـى تقتَرِبَ مِـنَ المَكْرُوهَاتِ، ثُمَّ تتعَـوَّدَ عليهَا ثُمَّ تتفَاجَأُ وإذَا بِكَ قَدْ وَقَعْتَ فِي المُحَرَّمَاتِ.

فالشـيطَانُ لهُ خُطُوَاتٌ، وهُوَ يَعْرِفُ المَدَاخِلَ لِكُلِّ شَـخْصٍ حَتَّى يُضِلَّـهُ، فيبدَأُ بالأشـياَءِ التـي ظاهِرُهَا الحَـلالُ، ولكنَّهَا تَؤُولُ بِكَ إلَـى الحَرَامِ، وهنَا مِثَالٌ:

قَـد يُقْنِعُـكَ الشـيطَانُ ببعْـضِ التطبيقَاتِ التِـي فيهَا الخَيْـرُ القليـلُ، ولكنَّهـا مليئَـةٌ بالمُحَرَّمَـاتِ، فتبـدَأُ تُشَـاهِدُ الخيرَ، ولكِنَّ الشَرَّ يأتيكَ بعْدَ كُلِّ مقطعٍ كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ فِي بَعْضِ التطبيقَاتِ.

وإذَا بِكَ تَعْتَادُ علَى مشـاهَدَةِ تِلْكَ المُحَرَّمَاتِ، ولا تشـعُرُ بنفسِـكَ إلَّا وأنْتَ مُنْغَمِسٌ فيهَا، مَـعَ أنَّكَ لَمْ تَكُنْ تُشَاهِدُهَا قَبْلَ تحميلِكَ لذَلِكَ التطبيقِ.

والحَـلُّ هُنَا أَنْ تُحَاسِـبَ نَفْسَـكَ بصـدْقٍ فِي كُلِّ تطبيـقٍ، هَلِ الغَالِبُ عليهِ الخيرُ أمِ الشَّـرُّ، وَهَلْ هُنَاكَ بَدِيلٌ عنْهُ حَتَّى تَسْـلَمَ مِمَّا فيهِ مِنَ الشُّـرُورِ، والقضيَّةُ تحتَاجُ إلَى شـيءٍ مِنَ الصدْقِ والتَّقْوَى، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يحفَظَنَا مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.



١٥ سببًا للثَّبَاتِ عَلَى الدِّين

إنَّ مِنْ أعْظَمِ النِّعَمِ على المؤمِنِ، أَنْ يستقيمَ علَى طَاعَةِ اللهِ، كَمَا يُحِبُّ اللهُ، كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [سورة هود: آية ١١٢]، وإِنَّ الثَّبَاتَ علَى الدينِ مَعَ وجودِ الفِتَنِ يُعْتَبَرُ مِنَ الأُمُورِ الشَّاقَّةِ عَلَى بَعْضِ النفوسِ، فإليكُمْ بعْضُ وسائِلِ الثَّبَاتِ التِي مَنْ عَمِلَ بِهَا فَسَوْفَ يزدَادُ إيمَانُهُ وتَتَحَقَّقُ لَهُ الاستِقَامَةُ بِإِذْنِ اللهِ تعَالى.

١- طَلَبُ العِلْـمِ؛ لأَنَّ العِلْمَ يزيدُكَ مَعْرِفَةً باللهِ ومَا يستَحِقُّ مِنَ التعظِيمِ، والعِلْمُ يُبَصِّرُكَ بمَراتِبِ الأعمالِ ومَا هُوَ الفاضِلُ والمَفْضُولُ، والعِلْمُ يُحَذِّرُكَ مِنْ مَدَاخِلِ الشيطانِ التي يَتَسَلَّلُ مِنْ خِلالِهَا لإضعَافِ دينِكَ، وفوائِدُ العلمِ أكثرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى أَوْ تُحْصَرَ.

٢- تَدَبُّــرُ القرآنِ، قَــالَ تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [سورة ص: آية ٢٩].

والتَّدَبُّرُ هُوَ: أَنْ تَعْرِفَ مَعْنَى الآيَةِ بِشَــكْلٍ مُخْتَصَرٍ، ثُمَّ تَرْبِطَهَا بواقِعِكَ، وكيفَ يُمْكِنُكَ تطبيقُهَا.

وهنَاكَ قَوَاعِــدُ وفنونٌ للتَدَبُّرِ يمكنُــكَ معرِفَتُهَا مِنْ خِلَالِ بَعْضِ الكُتُبِ والمَوَاقِعِ.

٣- الجُلُوسُ مَعَ العُلَمَاءِ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ فالجُلُوسُ مَعَ طُلَّابِ العِلْمِ، للاستِفَادَةِ مِـنْ عِلْمِهِمْ وأَخْلَاقِهِمْ واستشَــارَتِهم؛ لِأَنَّ أهْــلَ العِلْــمِ لديهِــمْ مِـنَ العلومِ النَّافِعَةِ مَا يزيدُكَ عِلْماً وثَباتــاً.

٤- مُلَازَمَــةُ الصالِحينَ الذِينَ تَنْتَفِــعُ برؤيتِهِمْ قَبْلَ كلامِهِمْ؛ لأَنَّ المَرْءَ ضعيفٌ بنفسِــهِ، قــويٌّ بإخوانِهِ،

والواحِدُ مِنَّا يتأَثَّرُ بِمَنْ يُجَالِسُ.

٥- البُعْدُ عَنِ الشَّهَوَاتِ، كَالنَّظَرِ المُحَرَّمِ ونَحْوِهِ، وفِي تَصَوُّرِي، فَإنَّ مِنْ أعظَمِ أسبَابِ الانْتِكَاسَةِ «التسَاهُلُ فِي النَّظَرِ للنِسَاءِ فِي مَوَاقِعِ التواصُلِ»، وكَمْ مِنْ شهْوَةِ سَاعَةٍ أَوْرَثَتْ حُزْنًا طَويلاً.

٦- الصّبْرُ ومُجَاهَدَةُ النَّفْسِ، وَلْيَتَذَكَّرِ المرْءُ أَنَّ صبْرَهُ عَلَى الطَّاعَاتِ وصبْرَهُ عَنِ المَعَاصِي مِنْ أفضَلِ الأعمَالِ، قَالَ تعالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: آية ١٠]، والجَنَّةُ حُفَّتْ بالمكَارِهِ، فتَحْتَاجُ للمزيدِ مِنَ الصَّبْرِ.

٧- الدُّعَاءُ والإلْحَاحُ عَلَى اللهِ، وإنِّي لأَتَعَجَّبُ مِنْ كَثْرَةِ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِـ «يَا مُقَلِّبَ القلوبِ

ثَبِّتْ قلبي علَى دينِكَ» وَهُـوَ المُؤَيَّدُ بالوحيِ، فكيفَ بِنَا نَحْنُ الضُعَفَاءُ؟

٨- الابْتِعَـادُ عَنِ الشُـبُهَاتِ التِي تُضْعِـفُ قنَاعَتَكَ بِهَـذا الديـنِ، أَوْ تَطْعَـنُ فِـي الثَّوَابِتِ الشَّـرْعِيَّةِ؛ لأَنَّ بَثَّ الشُـبُهَاتِ مِنْ أسـلِحَةِ الأعدَاءِ، ومَنْ تسَاهَلَ فِي سـمَاعِهَا أوْ قِرَاءَةِ مـا يُكْتَبُ فيهَا أَوْ شَـاهَدَ مَا يَتعَلَّقُ بِهَا، فَقَدْ عرَّضَ نفْسَهُ للفِتَنِ، والقَلْبُ ضَعِيفٌ، ورُبَّمَا التَصَقَتْ بِهِ تِلْكَ الشُبُهَاتُ.

٩- المُدَاوَمَةُ عَلَى الأعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ لأَنَّ المُدَاوَمَة عليهَـا تُوصِلُكَ لمرْتبَةِ محبَّـةِ اللهِ لَكَ، وفِي الحَدِيثِ القُدسِـيِّ «ولَا يَزَالُ عبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَـيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» رواهُ البُخَارِيُّ.

ومَنْ فَـازَ بِمَحَبَّةِ اللهِ فَسَـوْف يَنالُ الحِفْـظَ الرَّبَّانِيَّ والتثبيتَ والتوفِيقَ.

١٠ - تَأَمَّلْ سـير الأنبياء، قال الله لنبيه ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [سورة هود: آية ١٢٠].

وَكَـمْ فِي قِصَصِهِـمْ مِـنَ الـدروسِ! فتَأَمَّـلْ ثبَاتَهُمْ وصبرَهُمْ وعظيمَ تعَلُّقِهِمْ باللهِ، وَحَبَّذَا أَنْ تتَأَمَّلَ ذَلِكَ مَعَ أسرَتِكَ وأحبَابِكَ، لتُقَوِّيَ إيمَانَهُمْ.

١١ - اعملْ بما تَقْرَأُ وتَسْمَعُ مِنَ المواعِظِ، قالَ اللهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [سورة النساء: آية ٦٦].

فانْظُرْ كيفَ جَعَلَ اللهُ العَمَلَ بالمَوَاعِظِ سببًا للثبَاتِ، وللأسَفِ فَإنَّنَا نسْمَعُ المَوَاعِظَ ولَكِنَّ البَعْضَ مِنَّا لَا يَعْمَلُ بِهَا.

١٢- تَذَكُّرُ الموتِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ أحوالِ القُبُورِ وَمَا فيهَا مِنَ النَّعِيمِ والعَذَابِ، ومَنْ تذكرَ تِلْكَ الأحوَالَ فلْيُحاسِبْ نفْسَهُ، مَاذَا قَدَّمَ لها؟

ولْيَسْتَعِدّ بالعَمَلِ الصَّالِحِ الذي سينْفَعُهُ فِي قبْرِهِ، وأَمَّا الغَافِلُ فَلَا يَشْعُرُ بنفْسِهِ إلَّا وَهُوَ بينَ الأمْوَاتِ، وَكَمْ حَسَرَاتٍ فِي بُطُونِ المَقَابِرِ.

١٣- النَّظَرُ في ثَمَراتِ الثَّبَاتِ عَلَى الدينِ، مِنَ السعَادَةِ والتوفِيقِ فِي حياتِكَ، ثم الخاتِمَةِ الحسَنَةِ، ثمَّ النعيمِ فِي القَبْرِ، وفِي الآخِرَةِ هُنَالِكَ المنَازِلُ الكبرَى

فِي الجِنَانِ، هَذَا كُلُّهُ بسببِ ثَبَاتِكَ عَلَى الدِّينِ، قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف: آية ٣٠].

١٤- الاستِثْمَارُ الجَيِّدُ للفَرَاغِ؛ لأَنَّ الفَرَاغَ بوابَةُ السعَادَةِ والنَّجَاحِ والصَّلَاحِ، وقَدْ يكونُ بَوَّابَةً للانْحِرَافِ، فبيْنَ وقْتٍ وآخَرَ حاسِبْ نَفْسَكَ في وقتِكَ وماذَا تَصْنَعُ فيهِ.

١٥- الاشتِغَالُ بالدعوَةِ إِلَى اللهِ فِي المَجَالِ الذِي تتَمَيَّزُ فيهِ، قَالَ اللهُ ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد: آية ٧] وَمَنْ سَعَى لِتَعْلِيمِ النَّاسِ وتثبيتِهِمْ، جَازَاهُ اللهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ فَزَادَهُ عِلْمًا وثَبَاتًا.

أصنَافُ النّاسِ مَعَ الأيّامِ

مع مُرُورِ الأيّامِ هُنَاك صِنْفَانِ مِنَ النّاسِ:

الصنْفُ الأوَّلُ: مَنْ يزدَادُ إيمَانـًا فِي كُلِّ يومٍ، وَهَذَا هُوَ المُوَفَّقُ الـذِي اختَارَهُ اللهُ تعَالَـى لمَحَبَّتِهِ وجنَّتِه، وهَـذَا النَّوْعِ مِنَ النَّاسِ لَا تَرَاهُمْ إلَّا وهمْ يتَقَلَّبُونَ بينَ أنواعٍ مِنَ الحَسَنَاتِ.

فمَرَّةً تَرَاهُمْ فِي طَلَبِ العِلْمِ، ومَرَّةً تَرَاهُمْ فِي عبَادَةٍ، ومَـرَّةً تَرَاهُمْ فِي الدعْوَةِ إلَـى اللهِ تَعَالَى، وفِي آنٍ آخَرَ تَرَاهُمْ فِي الإحْسَانِ للمَسَاكِينِ.

وهَذَا هُوَ حَالُ الأنبياءِ صَلَواتُ اللهِ عليهِمْ أجمَعِينَ، وَعَلَى هَذَا المَنْهَجِ سَـارَ الصحَابَةُ الكِرَامُ رضوانُ اللهِ

تَعَالَى عليهِمْ، ولَحِقَ بِهِمْ سَـلَفُ الأمَّةِ، نسْـأَلُ اللهَ أَنْ يجعَلَنَا مِنْهُمْ.

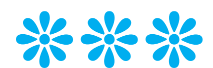
الصنْفُ الثَّانِي: هُمْ عَلَى الضِـدِّ مِنْ ذَلِك، يتقَلَّبُونَ فِـي المَعَاصِي والسـيئَاتُ كلَّ يومٍ، بَـلْ كلَّ في لحظَةٍ يزدَادُونَ آثَامـًا.

فمرَّةً يسـهَرُونَ عَلَى المُحَرَّمَاتِ، وَمَـرَّةً بَلْ مرَّاتٍ ينَامُونَ عَنِ الصلَوَاتِ، ومِنهم مَنْ يعيشُ فِي الغَفَلاتِ والشَّهَوَاتِ، وَهَذَا هُوَ حَالُ الغافِلِينَ السَّاهِين.

فيـا أيُّهَـا الأحِبَّةُ، لنَقِـفْ مَعَ أنفُسِـنَا وَقْفَـةً صَادِقَةً ونَسْـأَلُهَا يا تُرَى هَلْ نَحْنُ مِنَ الذينَ تَزْدَادُ حَسَـنَاتُهُمْ مَعَ مُـرُورِ أيَّامِهِمْ، أَمْ نَحْنُ مِنَ الذِينَ تَزْدَادُ سـيئَاتُهُمْ مَعَ مُرُورِ اللحَظَاتِ؟

إنَّ المُصارَحـةَ مَعَ النفْسِ فِي هَـذِهِ الحَيَاةِ خيرٌ مِنَ النَّـدَمِ فِي ذَلِك اليَـوْمِ ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾

[سورة النبأ: آية ٤٠].



ثَبَاتُ القُلُوبِ عَلَى الحقِّ

فِي زَحْمَـةِ الفِتَنِ، قدْ تَخْتَلِـطُ المَفَاهِيمُ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ، وَخَاصّةً العَامِلِينَ فِي الحَقْلِ الإسْلَامِيِّ، فَيَظُنُّ بعضُهُـمْ أنَّ كثْـرَةَ المُنْكَـرَاتِ وظُهورَ البَاطِـلِ دَلِيلٌ عَلَـى أنَّ الحَـقَّ قَدْ غابَ واختَفَى، وَحَتَّـى يَزُولَ هذَا الإشكَالُ فَلْنَتَأَمَّلْ هَذَا الخَبَرَ.

قيـلَ لأحْمَدَ بْنِ حَنْبَل فِي أَيَّامِ المِحْنَةِ: يَا أبَا عَبْدِالله أَلَا تَرَى الحَقَّ كيفَ ظَهَرَ عليهِ البَاطِلُ؟

فقَـالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كلَّا، إِنَّ ظهـورَ البَاطِلِ عَلَى الحَقِّ أَنْ تنتَقِـلَ القُلُوبُ مِنَ الهُدَى إِلَـى الضَلَالَةِ، وقلوبُنَا بَعْدُ لازِمَةٌ لِلْحَقِّ). سيَرُ أعْلَامِ النُّبَلَاء ١١ / ٢٣٨

ومَعْنَى كلام الإمَام أحْمَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أَنَّ العِبْرَةَ ليسَتْ بِكَثْـرَةِ البَاطِلِ والمُنْكَرَاتِ، وَلَكِنَّ العِبْرَةَ بثَبَاتِ القَلْبِ عَلَـى الحَـقِّ والاسـتِقَامَةِ على الدِيـنِ، فمَهْمَا انتَشَـر البَاطِلُ، فَهَذَا لَا يَدُلُّ على غلَبَتِهِ، وَكَمْ رَأَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ عاشُـوا فِي بِلَادٍ مليئَـةٍ بالفِتَنِ، وَلَكِنَّهُـمْ ثَابِتُونَ عَلَى الحَقِّ، ولدَيْهِمْ بَرَامِجُ علْمِيَّةٌ ودعويَّةٌ فِي نَفْعِ النَّاسِ، وَعِنْدَهُمْ ثَبَاتٌ عَجِيبٌ على الدِّينِ.

الخُلَاصَةُ:

انتَبِهْ لقَلْبِكَ فِي أزْمِنَةِ الفِتَنِ؛ لأَنَّ القَلْبَ إذَا زَاغَ عَنِ الحَقِّ، فَهَذِهِ أعْظَمُ مُصيبَةٍ.



بُوصلَةُ الحُبِّ إلى أَيْنَ؟

مِنْ عَجِيبِ شَأْنِ الحُبِّ أنّ له علاقَةً بيَوْمِ القِيَامَةِ مِنْ نَاحِيَةِ تحْدِيدِ المجمُوعَةِ التِي سَتُحْشَرُ مَعَهَا.

۞ ومِنَ الأحادِيثِ التي تناوَلَتْ هَذَا المَعْنَى:

عـنْ عبـدِ اللهِ بْنِ مسـعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: جَـاءَ رَجُلٌ إلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَقُـولُ فِي رَجُلٍ أَحَـبَّ قَوْمـًا وَلَمْ يَلْحَـقْ بِهِمْ؟ فقالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». رواهُ البُخَارِيُّ.

وعَـنْ أنَسِ بْـنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَجُلاً سَـأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: متَـى السَّـاعَةُ يَـا رسـولَ اللهِ؟ فَقَـالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أعْدَدْتَ لَهَا؟».

فقالَ: مَا أَعْدَدْتُ لهَا مِنْ كثيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ.

فقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». رَوَاهُ البُخَارِيُّ. والأحَادِيثُ فِي هَذَا المَعْنَى كَثِيرَةٌ.

إنَّ الحُبَّ عمَلٌ قلْبِيٌّ عظِيمٌ، والذِي يُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصالِحِينَ فَلَابُدَّ أنْ يَظْهَرَ هَذَا الحُبُّ عَلَى منْهَجِهِ وأفكَارِهِ وأعْمَالِهِ، وسيَكُونُ ثَمَرَةُ هَذَا الحُبِّ الصَادِقِ أَنْ يُحْشَرَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصَّالِحِينَ لأَنَّهُ كانَ يُحِبُّهُمْ، معَ أَنَّ عملَهُ لَا يَرْتقِي لأَنْ يَصِلَ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُ الحُبُّ الذِي منَحَهُ تِلْكَ المَنْزِلَةَ العَالِيَةَ، فَمَا أعْجَبَ الحُبَّ!

ومِـنْ زَاوِيَـةٍ أخـرَى فـإنَّ الذِي يحِـبُّ الفَاسِـقِينَ وَالكَافِرِينَ حتَّى يَتغَلْغَلَ ذلكَ الحُبُّ فِي قلبِهِ ومشاعِرِهِ وربَّمَا أهدَافِهِ وبرامِجِهِ، فيُخْشَى عليهِ أنْ يُحْشَرَ معَهُمْ، لظَاهِرِ الحديثِ السابِقِ، ولعُمُومِ الآيَةِ ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [سورة الصافات: آية ٢٢]، فَقَدْ جَاءَ عَنْ عمرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَـالَ: أزواجُهُمْ، أيْ أمثَالُهُمْ الذِينَ هُمْ مِثْلُهُمْ، يُحْشَـرُ أصحَابُ الرِّبَا مَعَ أصحَابِ الرِبَـا، وأصحَابُ الزِنَا مَعَ أصْحَابِ الزِنَا، وأصحَابُ الخَمْـرِ مَعَ أصحَابِ الخَمْرِ. رواهُ الحَاكِمُ، وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أيْ نظَرَاؤُهُمْ. رواهُ الطَبَرِي.

والخُلاَصَـةُ، انتَبِهْ لمَشَـاعِرِ الحُبِّ التِـي تَدُورُ فِي قَلْبِكَ، واجْعَلْ بوصَلَةَ الحُبِّ تتجِهُ للنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والصَّالِحِينَ، لَعَلَّك تُحْشَرُ مَعَهُمْ يومَ القِيَامَةِ.

ختامـًا، نسـأل الله أن يثبتنا على دينـه، وأن يرزقنا السعادة في الدنيا والآخرة.

تم الكتاب بحمد الله تعالى.

